

نبذة مختصرة

عن فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى

رحمه الله

○ ولد فضيلة الشيخ الإمام داعية الإسلام و محمد متولى الشعراوى فى ١٦ من أبريل عام ١٩١١ بقرية دقادوس^(١) مركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية .

- أتم حفظ القرآن الكريم بكتاب الترية وعمره أحد عشر عامًا .
- ألقنه والده رحمه الله تعالى عليه بالمهد الابتدائى الأزهرى بالزقازيق عام ١٩٢٦ م ، ثم التحق بالقسم الثانوى وحصل على الشهادة الثانوية الأزهرية عام ١٩٣٦ م .
- التحق رضى الله تعالى عنه بكلية اللغة العربية عام ١٩٣٧ م وحصل على عالية اللغة العربية عام ١٩٤١ م ، ثم حصل على العالمية وإجازة التدريس عام ١٩٤٣ م .

(١) دقادوس : قرية قديمة جدًا تقع شرق النيل - فرع دمياط - وكانت تتبع الشرقية واسمها فى العصر الفرعونى «أنوكانوس» وفى العصر القبطى و تاكادوس « والعربى و تقدوس « . و دقادوس « هى الآن تابعة لمدينة ميت غمر محافظة الدقهلية =

- تولى رضى الله تعالى عنه منصب مدير الدعوة و سريرية
- بوزارة الأوقاف عام ١٩٦١م بمحافظة الغربية .
- عين فضيلته مفتيًا للمعلوم العربية بالأزهر الشريف
- عام ١٩٦٢م .
- اختاره فضيلة الإمام الأكبر الشيخ و حسن مؤنسا و شيخ الأزهر مديرا لمكتبه عام ١٩٦٤م .
- ائتمت رئيسا لبعثة الأزهر الشريف في الجزائر - بعد استغلائها - عام ١٩٦٦م وأشرف خلال مدة بعثته بالجزائر على وضع مناهج دراسية للغة العربية بها .
- فى عام ١٩٧٠م عين أستاذًا زائرا بكلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة ، ثم رئيسا لقسم الدراسات العليا بها حتى عام ١٩٧٢م .
- سطع نور فضيلة الشيخ الإمام و محمد متولى الشبراوى خلال كداعية إسلامي من طراز فريد فى عام ١٩٧٣ من خلال التليفزيون المصرى ثم العربى ، فكان نورا على نور هدى الله به الخلق الكثير والجسم الغفير وكانت إطلالته لأم المحممة على محبيه ومريديه يوم عيد تنزل فيه الرحمت وبها همى به الله تعالى ملائكته .
- اختاره السيد و ممدوح سالم ، رئيس مجلس وزراء مصر

لمجلة وعد لعمد

- بدأ حياته العملية مدرسا بمعهد طنطا الأزهرى ، ثم معهد الإسكندرية ، ثم معهد الزقازيق ، ثم معهد طنطا مرة أخرى .
- عمل مدرسا للتفسير والحديث بكلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة عام ١٩٥١م .
- وبعد عودته من المملكة العربية السعودية عين فضيلته وكيلًا لمعهد طنطا الأزهرى .
- = اشتهرت نديًا بصناعة تجليد الكتب وصناعة الطصير الرفي ، وتشتهر إحدى عائلاتها بتجيير وعلاج كسور العظام .
- تضم أيضًا مساجد عديدة لشيخ أجلاء بعضهم من آل بيت النبى ﷺ منها : مسجد محمد شمس الدين البار ، ومسجد سيدى عبد الله الأنصارى ، ومسجد سيدى أبى بكر السطوحى - تلميذ السيد البدوى - ومسجد محمد نصر الدين الأربين .
- تناقلت الصحف أخبار دقادرى فى عام ١٩٣٠م عندما حدثت اضطرابات بها لامتاع أهلها عن التصويت فى الانتخابات النورية ضد حزب الوفد والتي قام بها إسماعيل صدقى باشا وسقط فيها شهداء وقتل فيها ضباط وظلت تحت حصار قوات - الهجانة - فترة طويلة وقد طبق فيها حظر التجول من الغروب وحتى الصباح .

لمجلة وعد لعمد

- الأسبق وزيراً للأوقاف عام ١٩٧٦ م .
- أعيد اختيار فضيلته وزيراً للأوقاف ووزير دولة لشئون الأزهر فى التشكيل الجديد لوزارة السيد « ممدوح سالم » عام ١٩٧٧ م .
- بعد أن قدم الكثير والكثير ، لبلده ولأمته ، رأى فضيلته أن الأفضل له ولدعوته أن يكون حراً فى البلاغ عن ربه فقدم استقالته من مهام الوزارة فى ١٥/١٠/١٩٧٨ م .
- منحه الرئيس الراحل « محمد أنور السادات » وسام الاستحقاق عام ١٩٧٦ م .
- بعد أن تخرج من قيود الوزارة انطلق رضى الله تعالى عنه فى مشارق الأرض ومغاربها داعياً إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة ، وموضحاً سماحة الإسلام ووسطيته ، مفنداً لما يحاول البعض أن يلصقه بالإسلام من مفاهيم ضالة ، فقام بزيارة الهند عام ١٩٧٧ ، وبباكستان عام ١٩٧٨ ، والملكة المتحدة عام ١٩٧٧ ، والولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٨٣ ، وكندا عام ١٩٨٤ ، وكثيراً من البلاد الأوروبية والآسيوية . حاملاً فى قلبه كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ مؤدياً واجب البلاغ عن ربه تعالى وعن رسوله ﷺ .
- عين عضواً بجمع البحوث الإسلامية عام ١٩٨٠ م .

لجنة وفد فلسطين

٦

- اختير عضواً بجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٨٧ م .
- منحه الرئيس « محمد حسنى مبارك وسام الجمهورية من الطبقة الأولى عام ١٩٨٨ م فى الاحتفال بيوم الدعاة .
- حصل على جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٨٨ م .
- حصل على جائزة دى الدولية لخدمة القرآن الكريم عام ١٩٧٧ م .
- انتقل رضى الله تعالى عنه إلى رحمة الله تعالى فى يوم ١٧/٦/١٩٩٨ فى منزله العاشر بالهرم ودفن بمسقط رأسه فى دقادوس ، وكان يوماً مشهوداً اتسعت فيه القرية لاحتضان ما يقرب من مليونى شخص يودعون شيخهم إلى مثواه الأخير ، وقد قام الأزهر الشريف بعمل سرادق بميدان الحسين لتلقى العزاء فيه ، وقد أتم السرادق العديد من الوفود العربية والإسلامية والشعبية والرسمية ، وشارك الشعب المصرى بكل طوائفه فى تلقى العزاء ، فكان الكل يعزى الكل فى مصاب الأمة الفادح .
- مُنح قلادة الجمهورية رفيعة المستوى من السيد « محمد حسنى مبارك » رئيس جمهورية مصر العربية عام ١٩٩٨ م لاسم فضيلته بعد انتقاله إلى رحمة الله تعالى .
- منح وسام الشيخ زايد من المرتبة الرفيعة .
- وخير ما قدمه فضيلة الشيخ الإمام « محمد متولى الشعراوى » لأمته العربية والإسلامية ، خواتمه حول القرآن الكريم التى

لجنة وفد فلسطين

٧

التوحيد مفتاح الجنة

بسم الله والصلاة والسلام على رسوله .. أما بعد فإن الله سبحانه وتعالى قد جعل للشهادة له وحده بالالهية ثمةً ، فلا يخلد في النار من شهد أنه لا إله إلا الله ، ولا لما كان هناك فرق بين من آمن بالله ومن كفر به^(١) ولذلك فإن المسلمين الذين رجحت سيئاتهم حسناتهم يهذبون في النار

(١) قد ورد في فضل شهادة التوحيد كثير من الأحاديث منها :
عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قلت : يا رسول الله ﷺ من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال رسول الله ﷺ :
و لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك ، لما رأيت من حرصك على الحديث . أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال : لا إله إلا الله خالصاً من قلبه نفسه^(١) .
وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال : و قال موسى عليه السلام : يا رب علّمني شيئاً أذكرك به وأدعوك به ، قال : قل : لا إله إلا الله ، قال : يا رب كُلِّ =

(١) أخرجه البخاري [٢١٥٧٠] ، وأحمد في المستند [٢٣٧٢/٦] ، والنسائي في الكبرى [٢٥٨٤٢/٤٢٦/١] .

تذاع في جميع أنحاء العالم مرئية ومسموعة ومقرودة وعلى أقراص ال CD .

○ تذخر المكتبة الإسلامية بالعديد من كتب فضيلته في كافة فروع العلم والمعرفة ، وإن كانت جميعها تنهل من المورد الصافي والمعين الذي لا ينضب ألا وهو تفسير الشعراوي ، وإذا كان التفسير قد ألقى في شكل دروس وحلقات ، وطبع مسلاً حسب ترتيب القرآن العظيم ، فإن الكتب الأخرى هي تفسير موضوعي آيات جمعت بعناية فائقة ، ورتبت ترتيباً جيداً ، ورجعت مراجعة علمية دقيقة ويجدر التنويه إلى أن فضيلة الإمام قبل رحيله لم يعهد إلا لمكتبة التراث الإسلامي ودلر أخبار اليوم بطباعة كبه وأقرت ذلك ورثته بعد رحيله ووافقت عليه .

لذا فإن كافة الكتب التي تصدر عن غير مكتبة التراث الإسلامي ودار أخبار اليوم هي كتب غير صحيحة وعلى حد تعبير الشيخ : إن أصابوا في شيء فقد أخطأوا في أشياء .

○○○

= عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

- ما قال عبد : لا إله إلا الله قط مخلصاً إلا فتحت أبواب السماء حتى تُبقي إلى العرش ما اجئيت الكباير^(١) .
وعنه رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« جددوا إيمانكم » قيل : يا رسول الله ، وكيف تُجدد إيماننا ؟
قال : « أكثروا من قول لا إله إلا الله »^(٢) .

وعن يعلى بن شداد قال : حدثني أبي شداد بن أوس وعُبادَةُ ابن الصامت حاضراً يُصدِّقه قال : كنا عند النبي ﷺ فقال :
« حل فيكم غريب ؟ » يعني أهل الكتاب ، قلنا : لا يا رسول الله ، فأمر بثلث الباب ، وقال : « ارفعوا أيديكم وقولوا لا إله إلا الله » فرفعنا أيدينا ساعة ثم قال : « الحمد لله اللهم بعثني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة وإنك لا تُخلف الوعد » ثم قال : « ألا أبشروا فإن الله قد غفر لكم »^(٣) .

(١) رواه الترمذي [٣٥٩٠] وصححه الألباني في صحيح الترمذي .
[٢٨٣٩] .

(٢) رواه أحمد [٣٥٩٠/١] ، والحاكم في المستدرک [٢٥٦/٤] . وقال الأثرناووط إسناده ضعيف .

(٣) رواه أحمد [١٢٤/١] ، والحاكم في المستدرک [٢٥١/١] . وقال الأثرناووط إسناده ضعيف .

= عبادك يقول هذا ، قال : قل لا إله إلا الله ، قال : إنما أريد

شيئاً تخصني به ، قال : يا موسى لو أن السموات السبع والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهم لا إله إلا الله^(١) .

وعن جابر رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال : « أفضل الذكر لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله »^(٢) .

وخرج الطبراني بإسناده عن زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه : قال رسول الله ﷺ : « من قال : لا إله إلا الله مُخلصاً دخل الجنة » ، قيل وما إخلاصها ؟ قال : « أن تُعجزاً عن محارم الله »^(٣) . وفي رواية « عما حرم الله عليه » .

(١) رواه النسائي في الكبرى [٢٨٠/١٦] ، وابن حبان [٦٢١٨] ، والحاكم في المستدرک [٥٢٨/١] وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الأثرناووط : إسناده ضعيف .

(٢) رواه الترمذي [٣٢٨٣] ، وابن ماجه [٣٨٠٠] ، والنسائي في الكبرى [١٠٦٦٧/٢] ، وابن حبان [٨٤٦] ، والحاكم [٤٩٨/١] وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي [٢٦٩٢] .

(٣) رواه الطبراني في الأوسط [١٢٥٧/١٣٢/٢] .

= والأرضين السبع، لو وضعت في كفة، ووضعت لا إله إلا الله في كفة، لرجحت بهن، ولو أن السماوات السبع والأرضين السبع، كن حلقة مبهمة، لقصصنهن ولا إله إلا الله، و سبحان الله وبحمده، فإنها صلاة كل شيء، وبها يُرزق كل شيء، وأنها لك عن الشرك والكبر، قُلت، أو قيل: يا رسول الله هذا الشرك قد عرفناه، فما الكبير؟ فهو أن يكون لأحدنا نخلة يلبسها؟ قال: لا، قال: فهو أن يكون لأحدنا نعلان خضتان لهما شتر كان حسنان؟ قال: لا، قال: فهو أن يكون لأحدنا دابة يركبها؟ قال: لا، قال: فهو أن يكون لأحدنا أصحاب يجلسون إليه؟ قال: لا، قال: يا رسول الله، فما الكبير؟ قال: وسفه الحق، وضعص الناس^(١). وروى عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا منتشرهم وكأنى بأهل لا إله إلا الله يفضون التراب عن=

(١) رواه أحمد في المسند [٢٢٥١٧٠/٢] وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح، والمحکم في المستدرک [٤٩/١]، والبخاری في الأدب المفرد [٥٤٨]. واللفظ له وصححه الألبانی في الأدب المفرد [٤٢٦]، والصحيحة [١٣٤].

= وعن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: وإني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقًا من قلبه إلا خرم على النار، فقال له عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: أنا أحدثك ما هي، هي: كلمة الإخلاص التي ألزمها الله تبارك وتعالى محمدًا ﷺ وأصحابه، وهي كلمة التقوى التي ألص عليها نبي الله ﷺ عمه أبا طالب عند الموت، شهادة أن لا إله إلا الله^(١).

وخرج أحمد والبرار بإسنادهما عن ثعاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مفاتيح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله»^(٢).

روى أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن نبي الله نوحًا ﷺ لما حضرته الوفاة قال لابنه: إني قاص عليك الوصية: أتوكل بالثنتين، وأنهاك عن الثنتين، آمرك بـ لا إله إلا الله»، فإن السماوات السبع،=

(١) رواه أحمد في المسند [٢١٣/١]، والمحکم في المستدرک [٢٧/١] مختصرًا، وقال: صحيح على شرطهما. وقال الأرنؤوط: إسناده قوى.

(٢) رواه أحمد في المسند [٢٤٢/٥].

=
رواه عنهم ، ويقولون : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا

الْحَزْنَ ۝ (١) .

وروى عن عبد الله بن عمرو رضى الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ قال : « التَّسْبِيحُ يَصْفُ الْمِيزَانَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ يَمْلَأُهُ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَيْسَ لَهَا دُونَ اللَّهِ حِجَابٌ حَتَّى تَخْلُصَ إِلَيْهِ ۝ (٢) .

رسول الله صدقاً من قلبه ثم يسدد إلا سلك في الجنة ۝ (٣) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما : أن

رسول الله ﷺ قال : « إِنْ اللَّهُ يَسْتَخْلَصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى

رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ سَجَلًا ،

كُلُّ سَجَلٍ مِثْلُ مِذْبَاحٍ ، ثُمَّ يَقُولُ أَتَنْكَرُ مِنْ هَذَا شَيْعًا ؟

أَظْلَمَكَ كِتَابِي الْحَافِظُونَ ؟ فَيَقُولُ : لَا يَا رَبِّ ، فَيَقُولُ :

أَفْلاكَ عَذْرُ ؟ فَيَقُولُ : لَا يَا رَبِّ ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : بَلَى إِنْ

لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةٌ فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ ، فَخَرَجَ بَطَاقَةً فِيهَا :

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فَيَقُولُ :

اخْضَرُ وَزَنْكُ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبَطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ

السَّجَلَاتِ ؟ فَقَالَ : إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ ، قَالَ فَتَوَضَّعَ السَّجَلَاتِ فِي

كَفِّهِ وَالْبَطَاقَةُ فِي كَفِّهِ فَطَاشَتِ السَّجَلَاتُ وَثَقُلَتِ الْبَطَاقَةُ =

(١) رواه البخارى [١٢٨] ، ومسلم [٥٣/٣٢] .

(٢) رواه أحمد فى المسند [١٦/٤] .

=
رواه عنهم ، ويقولون : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا

الْحَزْنَ ۝ (١) .

وروى عن عبد الله بن عمرو رضى الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ قال : « التَّسْبِيحُ يَصْفُ الْمِيزَانَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ يَمْلَأُهُ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَيْسَ لَهَا دُونَ اللَّهِ حِجَابٌ حَتَّى تَخْلُصَ إِلَيْهِ ۝ (٢) .

عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال :

« مِنْ قَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ

مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَابْنُ أَمَتِهِ ، وَكَلِمَتُهُ

أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ .

أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَى أَبْوَابِ السَّمَاءِ شَاءَ ۝ (٣) .

وعن أنس رضى الله تعالى عنه : أن النبي ﷺ - ومعاذ رديفه

على الزُّخْلِ - قال : « يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ۝ قَالَ لِيكَ يَا رَسُولَ

اللَّهِ وَمُعَدِيكَ ، ثَالِثًا . قَالَ : « مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا

اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صَدَقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا خَوَّعَهُ اللَّهُ عَلَى =

(١) رواه ابن أبى الدنيا فى حسن الظن بالله [٣٧٧] .

(٢) رواه الترمذى [٣٥١٨] ، وأحمد فى المسند [٣٧٢، ٣٦٣/٥] .

وضعه الألبانى فى ضعيف الترمذى [٧٠٠] .

(٣) أخرجه البخارى [٣٤٣٥] ، ومسلم [٤٦/٢٨] .

القوم إلا زبداً ، ثقينا عن زيد القيام ، وإذا قلنا : « ما قام القوم إلا زبداً » ، أثبتنا لزيد القيام ، الله سبحانه وتعالى حين يتكلم عن خلقه في الآخرة يقول : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِذِيهِ فَفِيهِمْ سُبُحٌ وَسَعِيدٌ ﴾ [مورد: ١٠٥] . إذن .. قسم الله سبحانه وتعالى الخلق إلى قسمين شقي وسعيد ، والله بين لنا ما هو حكم الشقي وما هو حكم السعيد ؟

فالشقاء نوعان : شقاء الكافر ، وهذا هو شقاء في القمة . وشقاء المؤمن الذي أسرف على نفسه وعصى ربه . إذن .. هناك نوعان من الشقاء ، والنوعان مختلفان في الجزاء ، وبلا لا كان لكلمة التوحيد جزاؤها في الآخرة . والسعادة أيضاً قسمان : سعادة القمة لإنسان آمن وعمل العمل الصالح ، وسعادة لإنسان آمن وعمل بعض العمل وتهاون أو تكاسل عن البعض الآخر لا عن رغبة في المعصية ولا عن جحود في الطاعة . وهؤلاء يغفر الله لهم برحمته أو بشفاعته الشفاعة على ما هو مقرر في كتب العقائد والإيمان . والذين شقوا شقاء الكفر خالدون في النار من أولها لا

يقدر معاصيهم ، إن لم يتداركهم الله برحمته ويعفوا عنهم ، أو لم تنفعهم شفاعته الشافعين ، يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ فَإِنَّمَا الَّذِينَ سَقُوا فِي النَّارِ لَمْ فِيهَا زَكِيٌّ وَسَيِّئٌ ﴾ ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّعِيرُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عِلَّا عِدَّةٌ يَوْمَ يُنْفَخُ الْفُجُورُ ﴾ [مورد: ١٠٥] . هذا الاستثناء الموجود في الآيتين إنما وضع لمن آمنوا بالله ولن عصوه ، فمعنى الاستثناء إخراج شيء مختلف عن شيء كان عاماً ، فيقال قام القوم إلا فلاناً ، أي : إننا أخرجنا فلاناً هذا الذي كان جالساً مع القوم لأنه لم يقم معهم ، بل خالفهم فيما فعلوا ، أو أننا نفينا عنه ما فعلوه ، و « إلا » إما أن تنفي شيئاً ميثباً ، أو تخرج من منفي فيثبت ، فإذا قلنا : « قام فلا يقل مع اسم الله شيء »^(١) .

(١) رواه الترمذى [٢٦٣٩] ، وابن ماجه [٤٢٠٠] ، وأحمد في المسند [٢١٣/٢] وابن حبان [٢٢٥] والطحاكم [٢٧/١] ، وقال : صحيح على شرط مسلم . وصححه الألبانى في صحيح الترمذى [٢١٢٧] .

﴿ يَكْنُفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعُونَ إِلَى الشُّجُورِ فَلَا يَسْتَجِيبُونَ ﴾^(١)
 خَلْقُهُمْ أَصْنَانٌ رَهْنَهُمْ ذَٰلِكَ مُقَدَّرٌ كَمَا يُدْعُونَ إِلَى الشُّجُورِ وَهُمْ
 سَاهُونَ ﴿١٩﴾ [الهم] .

وإذا أردنا أن نفهم معنى هاتين الآيتين الكريمتين فلا بد أن
 نعرف معنى : ﴿ يَكْنُفُ عَنْ سَاقٍ ﴾ ، كان العرب
 يستخدمون الكشف عن الساق تعبيراً عن الجلد وأنه لا هنزل
 في هذا الموقف ، ذلك لأن الإنسان إذا أراد أن يعمل عملاً
 جاداً في مشقة ، فإنه يرفع الثوب ويكشف عن ساقه حتى لا
 يعوقهما الثوب عن الحركة الجادة بالكشف عن الساق ، يقال
 يعير بالنسبة للمواقف الجادة بالكشف عن الساق ، يقال
 ساعها كشفت عن ساقى وفعلت كذا ، وموقف القيامة هذا
 الذي نتحدث عنه هو موقف في غاية الجدة ، فمعنى : ﴿ يَوْمَ
 يَكْنُفُ عَنْ سَاقٍ ﴾^(١) أى ساعة يأتي الجسم والجدة ، حين

(١) قال ابن كثير : قال ابن أبى نجیح عن مجاهد ﴿ يَوْمَ يَكْنُفُ
 عَنْ سَاقٍ ﴾ قال شدة الأمر ، وقال ابن عباس هى أشد ساعة
 تكون في يوم القيامة .

وقال ابن جرير عن مجاهد : ﴿ يَوْمَ يَكْنُفُ عَنْ سَاقٍ ﴾ قال :
 شدة الأمر وجده .

يخرجون منها أبداً ولا يخفف عنهم العذاب ؛ ولا تنفعهم
 شفاعة الشافعين .

أما الذين شقوا شقاء عصيان في التكليف ؛ يدخلون النار
 أولاً ، ليعذبوا بقدر ما عصوا ، ثم بعد ذلك يدخلون الجنة ،
 وهذا هو الاستثناء الذى ورد في قول الحق سبحانه وتعالى :
 ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ ، والاستثناء هنا يكون من آخر العذاب ،
 أى : إن الذين شقوا ، سواء بالكفر أو بالمعصية يبدأون العذاب
 معاً ، ثم لا يخلد المعاصرون في النار ، بل تدرّكهم رحمة الله
 سبحانه وتعالى فيخرجهم منها في الجزء الأخير من العذاب
 ويدخلهم الجنة .

إذن .. فالذين لم يدخلوا الجنة من أول يوم ودخلوا النار فترة
 أولية ، يكون الاستثناء في الشقاء من آخر العذاب ، فلا
 يدخلون في النار ، والاستثناء في السعادة من أول دخول الجنة .
 وكما قلنا : يقف المؤمنون بالله تعالى الذين شقوا منهم
 والذين سعدوا معاً ، لأنهم جميعاً آمنوا بوحداية الله ،
 ويسألهم الله سبحانه وتعالى عن إيمانهم فيقول الجميع إنهم مؤمنون
 صالحون ، حيثئلاً :

من الذين سيشهدون ، فيقطعون ! ويقولون : نعم نقبل الشهادة ، وهم يحسبون بذلك أنهم ناجون ، وإذا بجلودهم وأيديهم وأرجلهم والمستهم تشهد عليهم ، وذلك قول الله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءَهُمَا مَبْعَدُهُمْ وَبَصُرَتْهُمُ النَّارُ أَنَا آتَيْنَاهُمُ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَقَ كُلُّ سَوْءٍ ﴾ [نمل: ٨٤] .

حينئذ يحس هؤلاء العصاة بالخزي ، ويصف الحق سبحانه وتعالى حالتهم فيقول تعالى : ﴿ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ يَسْمُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٣] . وهؤلاء لم يكونوا محافظين على الصلاة وغير مؤدبين لها في أوقاتها يقول تعالى : ﴿ وَكَانُوا كَانُتُم مِّنَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٢] . كانوا يدعون إلى الصلاة ، إما بمساعهم الأذان ، أو بكبيرهم بمواقيت الصلاة ، وكانوا يقدررون على السجود ، ولكنهم فرطوا ، وضعوا ، ولم يراعوا على صلاتهم .

○
○
○

يقول الجميع عبدنا وما عصينا ، يقال لهم : اسجدوا لله
فيسجد المؤمنون الطائعون وحدهم ، أما المؤمنون الذين عصوا
فكفون ظهورهم كالواح من الخشب غير قابلة للاثناء فلا
يستطيعون السجود ، ويحاولون السجود جاهدين ولكنهم لا
يقدرن ، حيث يقال لهم : أتمم عصيتم ، ولذلك لم تُمكنوا
من السجود ، فيحاولون الجادة فيقال لهم : هل ترضون
بشهداء عليكم ؟ فابتغت هؤلاء كيناً ويساراً فلا يجدون أحداً

وقال العوفي عن ابن عباس قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾
يقول: حين يكشف الأمر وتبدل الأفعال، وكشفه دخول
الآخرة، وكشف الأمر عنه.

و كذا روى الضمحاك وغيره عن ابن عباس . أورد ذلك كله أبو جعفر بن جرير . ثم قال حدثني أبو زيد عمر بن شيبه ، حدثنا هارون بن عمر الخزازي ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا أبو سعيد روح بن جناح عن مولى لعمر بن عبد العزيز عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه عن النبي ﷺ قال : ﴿ يَوْمَ يُكْتَفَى عَنْ سَاقٍ ﴾ يعني عن نور عظيم يخرجون له سجدا . ورواه أبو يعلى عن القاسم بن يحيى عن الوليد بن مسلم به وفيه رجل مبهم . والله أعلم . [٤٠٨/٤] . تفسير ابن كثير

ذبح الموت بين الجنة والنار

قال الله تعالى : ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْمَسَرَّةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [٣٩] .

وعن أبي سعيد الخدري رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « يُجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ، فيقال : يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟ قال : فيشربون وينظرون ، ويقولون : نعم هذا الموت ، قال : يا أهل النار هل تعرفون هذا ؟ فيشربون وينظرون ويقولون : نعم هذا الموت ، قال : فيؤمر به فيذبح ، قال : ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت ، قال : ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْمَسَرَّةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١) .

وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « يَدْخُلُ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، وَيَدْخُلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ ، ثُمَّ =

(١) أخرجه مسلم [٤٠/٦٨٤٩] .

= الكفر ، وجعل الكذب مفتاح النفاق ، وجعل الشح والحرص مفتاح البخل ، وقطعة الرحم ، وأخذ المال من غير حله ، وجعل الإعراض عما جاء به الرسول مفتاح كل بدعة وضلالة . وهذه الأمور لا يصدق بها إلا كل من له بصيرة صحيحة وعقل يعرف به ما فى نفسه ، وما فى الوجود من الخير والشر ، فينبغى للعبد أن يعتنى كل الاعتناء بمعرفة المفاتيح وما جعلت المفاتيح له ، والله من وراء توقيفه وعدله ، له الملك وله الحمد وله النعمة والفضل لا يسأل عما يفعل وهم يسألون (١) .

○○○

(١) حادى الأرواح [اللب الرابع عشر ص ٦٦-٦٧] .

= على السور الذي بين الجنة والنار ، ثم يقال : يا أهل الجنة خلود لا موت ،^(١) ويا أهل النار خلود لا موت .

○○○

(١) جزء من حديث رواه الترمذى [٢٥٥٧] ، والنسائى فى الكبرى [١١٥٦٩/٤٨١/٦] وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى [٢٠٧٢] .

= يقوم مؤذن ينهم فيقول : يا أهل الجنة لا موت ، ويا أهل النار لا موت ، كل خالد فيما هو فيه^(١) .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وصار أهل النار إلى النار ، أتى بالموت حتى يجعل بين النار والجنة ، ثم ينادى مناد : يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت ، فيزداد أهل الجنة فرحاً ويزداد أهل النار حزنًا إلى حزنهم »^(٢) .

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ... فإذا أدخل الله أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، قال أتى بالموت مُلَيَّمًا فيوقف على السور الذى بين أهل الجنة وأهل النار ، ثم يقال : يا أهل الجنة ، فيطلعون خائفين ، ثم يقال : يا أهل النار ، فيطلعون مستبشرين يرجون الشفاعة ، فيقال لأهل الجنة وأهل النار : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون هؤلاء وهؤلاء : قد عرفناه ، هو الموت الذى وكل بنا ، فيضجع فيذبح ذبحًا =

(١) أخرجه البخارى [٦٥٤٤] ، ومسلم [٤٢/٢٨٥٠] .

(٢) أخرجه مسلم [٤٣/٢٨٥٠] .

دخول الجنة برحمة الله تعالى

يقول رسول الله ﷺ : « سددوا وقاربوا وأبشروا ، فإنه لا يدخل أحد الجنة عمله ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة » (١) .

(١) أخرجه البخاري ٢١٤١٧ عن عائشة رضي الله تعالى عنها . وفي ٢١٤١٦ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لن ينجي أحداً منكم عمله ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله برحمة ، سددوا وقاربوا ، واغمدوا وروحوا وشيء من الدلجة ، والقصد .. القصد تبلغوا » .

قال الحافظ في الفتح : ومعنى قوله : ينجي أي : يخلص . والنجاة من الشيء : التخلص منه .

قال ابن بطال في الجمع بين هذا الحديث وقوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ لَآئِنَةُ الْآلَةِ أُورِثُوهَا بِمَا كَسَبْتُمْ أَلْفَاكَ ﴾ ما محمله أن تحمل الآية على أن الجنة تنال المنازل فيها بالأعمال ، فإن درجات الجنة متفاوتة بحسب تفاوت الأعمال ، وأن يحمل الحديث على دخول الجنة والخلود فيها . ثم أورد =

على هذا الجواب قوله تعالى : ﴿ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ أَذْخَلُوا الْجَنَّةَ ﴾ كما كُتِبَ تَسْمُونَ ﴿ ﴾ [احمل : ٢٣٢] . فصرح بأن دخول الجنة أيضاً بالأعمال ، وأجاب بأنه لفظ مجمل بينه الحديث ، والتقدير ادخلوا منازل الجنة وقصورها بما كنتم تعملون ، وليس المراد بذلك أصل الدخول .

ثم قال : ويجوز أن يكون الحديث مفسراً للآية ، والتقدير ادخلوها بما كنتم تعملون مع رحمة الله لكم وتفضله عليكم ، لأن اقتسام منازل الجنة برحمته ، وكذا أصل دخول الجنة هو برحمته حيث ألهم العاملين ما فالوا به ذلك ، ولا يخلو شيء من مجازاته لعباده من رحمته وتفضله ، وقد تفضل عليهم ابتداءً بولجدهم ثم يوزقهم ثم يتألمهم .

وقال عياض : طريق الجمع أن الحديث فسر ما أجمل في الآية ، فذكر نحواً من كلام ابن بطال الأخير وأن من رحمة الله توفيقه للعمل وهدايته للطاعة وكل ذلك لم يستحقه العامل بعمله ، وإنما هو بفضل الله وبرحمته .

وقال ابن الجوزي : يتحصل عن ذلك أربعة أجوبة : الأول : أن التوفيق للعمل من رحمة الله ، ولولا رحمة الله السابقة ما حصل الإيمان ولا الطاعة التي يحصل بها النجاة . =

= و مفتاح دار السعادة : الباء المقتضية للدخول غير الباء الماضية ،

فالأولى السببية الدالة على أن الأعمال سبب الدخول المقتضية له كإقتضاء سائر الأسباب لمسيباتها ، والثانية بالمعاوضة نحو اشتريت منه بكذا فأنخير أن دخول الجنة ليس في مقابلة عمل أحد ، وأنه لو لا رحمة الله لعبدته لما أدخله الجنة لأن العمل يجزده ولو تناهى لا يوجب مجزده دخول الجنة ولا أن يكون عورثاً لها ، لأنه ولو وقع على الوجه الذي يحبه الله لا يقاوم نعمة الله ، بل جميع العمل لا يوازي نعمة واحدة ، فيبقى سائر نعمة مقتضية لشكرها وهو لم يوفها حق شكرها ، فلو عذبه في هذه الحالة لعذبه وهو غير ظالم ، وإذا رحمه في هذه الحالة كانت رحمته خيراً من عمله كما في حديث أبي كعب الذي أخرجه أبو داود وابن ماجه في ذكر القدر فيه :

و لو أن الله عذب أهل سماواته وأرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم ، الحديث^(١) .

(١) رواه أبو داود [٤٦٩٩] ، وابن ماجه [٢٧٧] ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود [٣٩٢٢] ، ورواه الطبراني =

= الشاني : أن منافع العبد لسيدته فعمله مستحق لولاه ، فنهما أنعم عليه من الجزاء فهو من فضله .

الثالث : جاء في بعض الأحاديث أن نفس دخول الجنة برحمة الله ، واقتسام الدرجات بالأعمال .

الرابع : أن أعمال الطاعات كانت في زمن يسير ، والثواب لا ينفد ، فالإنعام الذي لا ينفد في جزاء ما ينفد بالفضل لا بمقابلة الأعمال .

وقال الكرماني : الباء في قوله : ﴿ يَا كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ ﴾ ليس للسببية بل للإلصاق أو المصاحبة ، أي أورتتموها ملازمة أو مصاحبة ، أو للمقابلة نحو : أعطيت الشاة بالدرهم ، وبهذا الأخير جزم الشيخ جمال الدين بن هشام في « المغني » فسبق إليه فقال : ترد الباء للمقابلة وهي الداخلة على الأعواض كاشتريته بألف ، ومنه : ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ يَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ وإنما لم تقدر هنا للسببية كما قالت المعتزلة وكما قال الجميع في « لن يدخل أحدكم الجنة بعمله » لأن المعطى بعوض قد يعطى مجاناً بخلاف المسبب فلا يوجد بدون سبب .

قال : وعلى ذلك يتفق المعارض بين الآية والحديث . قلت : سبقه إلى ذلك ابن القيم فقال في كتاب =

= جواب آخر وهو أن يحمل الحديث على أن العمل من حيث هو عمل لا يستفيد به العامل ودخول الجنة ما لم يكن مقبولا . وإذا كان كذلك فأمر القول إلى الله تعالى ، وإنما يحصل برحمة الله لمن يقبل منه ، وعلى هذا فمضى قوله : ﴿ هُوَ أَذْهَبُهَا ﴾ . ولا يضرب بعد هذا أن تكون الباء للمصاحبة أو الإلتصاق أو المقابلة ، ولا يلزم من ذلك أن تكون سببية . ثم رأيت التورى جزم بأن ظاهر الآيات أن دخول الجنة بسبب الأعمال ، والجميع بينهما وبين الحديث أن التوفيق للأعمال والهداية للإخلاص فيها وقبولها إنما هو برحمة الله وفضله ، فيصح أنه لم يدخل مجرد العمل ، وهو مراد الحديث ، ويصبح أنه دخل بسبب العمل وهو من رحمة الله تعالى . ورد الكرمانى الأخير بأنه خلاف صريح الحديث .

وقال المازرى : ذهب أهل السنة إلى أن إثابة الله تعالى من أطاعه بفضل منه ، وكذلك انتقامه من عصاه بعذل منه ، ولا يثبت واحد منهما إلا بالسمع ، وله سبحانه وتعالى أن يعذب الطائع وينعم المعاصى ، ولكنه أخبر أنه لا يفعل ذلك وخبره صدق لا خلاف فيه . وهذا الحديث يقوى مقالاتهم ويرد على =

= قال : وهذا فصل الخطاب مع الجبرية الذين أنكروا أن تكون الأعمال سببا في دخول الجنة من كل وجه ، والقدرية الذين زعموا أن الجنة عوض العمل وأنها ثمنه وأن دخولها ببعض الأعمال ، والحديث يطل دعوة الطائفتين والله أعلم .

قلت : وجوز الكرمانى أيضا أن يكون المراد أن الدخول ليس بالعمل ، والإدخال المستفاد من الإرث بالعمل ، وهذا إن استقام فى الجواب عن قوله تعالى : ﴿ أَوْرَثْنَاهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ لم يستقم فى قوله تعالى : ﴿ هُوَ أَذْهَبُهَا ﴾ . كما كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ويظهر لى فى الجميع بين الآية والحديث =

= فى الكبير ١٤١٠/١٦١ من حديث زيد بن ثابت قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : و لو أن الله عذب أهل سماراته وأرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم كانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم ولو كان جبل أحد ومثل أحد ذهبا تنفقه فى سبيل الله ما تقبل الله منك حتى تقوم بالقدر كله ، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك . وإنك إن مت على غيرها دخلت النار .

يوم القيامة قيل له : ادخل الجنة برحمة الله ، فقال : بل أدخل الجنة بعملى ، فجاءوا بالميراث ووضعت فيه كل الأعمال الصالحة للرجل العابد ، ووضع فى الكفة الأخرى نعمة النظر وحدها ، فرجحت نعمة النظر ، فقال الرجل : ادخل الجنة برحمة الله .

إذن .. فالعمل الصالح الذى يقوم به الإنسان فى الدنيا لا يتساوى مع نعمة واحدة من نعم الله تعالى عليه .

والإنسان المؤمن عندما يتبع منهج الله فإنه لا يعمل عملاً ينفع الله جل جلاله ، ولكن اتباع منهج الله هو الذى ينفع الإنسان ، يعطيه الحياة الطيبة فى الدنيا ، ويمنع عنه كثيراً من الشرور التى قد يتعرض لها إذا لم يتبع المنهج ، فكما قلنا من قبل : إن المنهج يحصى الإنسان وينقله من حياة الغاية إلى الحياة الآمنة المطمئنة .

تماماً كما تقول لابنك : « ذاكر حتى تنجح » ، فإذا نجحت فللك مكافأة ، فالذاكرة لا تفيد الأب ، ولكنها تفيد الابن فى مستقبله ، وتريد أمامه فرص الحياة لكى يحيا ، وهو قادر على أن يكسب قوته ، وقادر على أن يتبرأ فى المجتمع إلى أعلى المراكز .

لسائل أن يسأل إذا كانت هذه هى الحقيقة فلماذا الحساب ؟ ولماذا كان الإنسان لا يدخل الجنة بعمله فلماذا يكون العمل الصالح شرطاً لدخول الجنة ؟ ألم يكن من المنطقي أن الله سبحانه وتعالى يدخل من يشاء الجنة برحمته وكفى ؟

نقول للذين يثيرون مثل هذا الكلام : إنكم لم تفهموا معنى حديث رسول الله ﷺ ، ذلك أن الأعمال الصالحة عند الله سبحانه وتعالى لا تزيد من ملكه شيئاً ، والعمل الصالح مهما بلغ لا يمكن أن يتكافأ مع النعم التى أوجدها الله سبحانه وتعالى ، فالنعم الموجودة فى هذا الكون ، والنعم التى ينعم بها الله علينا لا يمكن أن تتساوى معها الأعمال الصالحة فى الدنيا مهما كانت .

ولقد قيل : إن هناك عبداً من عباد الله كان يعبد الله ليلاً ونهاراً ، ولا يكف عن الصلاة والتسبيح والركوع والسجود ، حتى إنه لما جاء أجله قبض وهو ساجد ، وعندما جاء الحساب = المعزلة حيث أثبتوا بمقولهم أعراس الأعمال ، ولهم فى ذلك خبط كثير وتفضل طویل .

للوقوف بين يدي الله سبحانه وتعالى فطلبت منه ، ورجوته
وكنت في حضرته العلية .

إذن .. من المستفيد ؟! بالطبع أنت .

وإذا كان الأمر كذلك ، وكان العمل الصالح لا يفتح إلا
صاحبه ، وكان الموقف يوم القيامة أن كل الأعمال الصالحة لا
تساوى نعمة واحدة من نعم الله تعالى ؛ فلماذا الحساب ؟
نقول : لأن الله سبحانه وتعالى جعل هذه الأعمال الصالحة
شرطاً لفضله ورحمته ، فأنت إذا لم تقدم هذا العمل الصالح
في الدنيا ، فإنك لا تستحق أن تكون ضمن من يستحقون
فضل الله ورحمته في الآخرة ، ولذلك فلنكي تحصل على
الفضل ، ولنكي تستحق الرحمة ، لا بد أن تقدم العمل
الصالح أولاً ، فإذا لم تقدمه منعت عنك هذا كله ، وهذا هو
معنى حديث رسول الله ﷺ : « لا يدخل أحد الجنة عمله »^(١)
أى : إن هذه الأعمال الصالحة عندما توضع في الميزان
لا تدخل صاحبها الجنة ، ولكنها شرط لكي يشمله الله
برحمته ، فيدخل الجنة ويفيض الله من فضله عليه ما يشاء .

(١) سبق تخريجه .

إذن .. فالمذاكرة فائدتها للابن ، وليست نفعا للأب ، فإذا
أعطاه الأب مكافأة على نجاحه ، فذلك فضل من الأب على
ابنه .

والله سبحانه وتعالى حين وضع لنا المنهج .. لم يضمه ليحقق
لذاته تبارك وتعالى نفعا ، فأنت حين تصلي صلاتك لا تفيد
الله ، وإنما تعود عليك بالنفع بأنك تنضبط انضباط عبادة ،
حيثما يكون الله تعالى معك ، يعينك وقت الشدة ، ويسترك
وقت الضيعة ، ويرزقك وقت العسر^(١) .

إذن .. فهذه الصلاة التي أدتها فتحت الباب أمامك

(١) أخرج البخاري [١٥٠٦] عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه
قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى قال : من عادى
لى وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب
إلى مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل
حتى أحبه ، فإذا أحبته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره
الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها وإن
سألتى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيننه ، وما ترددت عن شيء أنا
فاعله ترددى عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته » .

٢١ - - - - - بيد الله تشبهه إلى ان الله سبحانه وتعالى قد بين لنا هذا الفضل في الدنيا ، فجعل الجنة بعشرة أمثالها إلى سبعمئة ضعف ، وجعل السبعة بآثارها ، ووضع منها المغفرة والرحمة والثوبة ليعمعو منها الكثير ، ولو أننا كنا نحاسب بعقل الله وحده ، لكانت السبعة تساوى الجنة وما كانت مغفرة الله ورحمته لتسحو السيئات وترذلها .

ولكن الله سبحانه وتعالى يريد أن يلفتنا ونحن في الدنيا إلى أنه يعاملنا بفضله ، ولو عاملنا بعقله ، لهلك كل من في الأرض بذنوبهم ، مصداقاً لقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَوْ يَرَى الْإِنْسَانُ أَنَّهُ مَكْسِبًا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِ كَافًا بَيْنَ يَدَيْكَ ﴾ [فاطر: ١٤٥] .

إذن... فالخلق سبحانه وتعالى ونحن في الدنيا يعاملنا بالفضل ، فإذا كنا في الآخرة كان فضله أعم وأشمل ، فكل نعمة من نعم الله في الجنة هي من فضل الله علينا ، وليست حقاً مكتسباً لنا .

فإذا كان رسول الله ﷺ وهو الأسوة في الإيمان ، والقُدوة في العمل الصالح ، والموصوم من الله سبحانه وتعالى يقول

في الحديث : « حتى ولا أنا » ، فهو تشبيه يريد رسول الله ﷺ أن يعطيه لنا لتأكيد أنه مهما بلغت الأعمال الصالحة ، فالإنسان محتاج لفضل الله ليدخل الجنة ، فرسول الله ﷺ أكرمنا عملاً ، وأعظمنا طاعة ، وأقربنا إلى الله سبحانه وتعالى ، فإذا كان الرسول بكل هذه الصفات سيدخل الجنة برحمة الله ، فمن باب أولى ألا يدعى عبد أو يقول أنه سيدخل الجنة بعمله ، بل كلنا محتاجون لفضل الله ورحمته ، ذلك الفضل الذي يحو السيئات ، ويضعف الحسنات أضعافاً مضاعفة (١) .

(١) ولحافاً لما ذكره الحافظ في الفتح أنفاً عن ابن القيم وجدت له فصل في حادى الأرواح يقول فيه : وهما أمر يوجب التنبه عليه وهو أن الجنة إنما تدخل برحمة الله تعالى وليس عمل البعد مستقلاً بدخولها وإن كان سيئاً . ولهذا أثبت الله تعالى دخولها بالأعمال في قوله : ﴿ يَكْفُرْ كُفْرًا كَثِيرًا ﴾ [٤٣/٧] ونفى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم دخولها بالأعمال بقوله : « لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله » (١) .

= ولا تنافى بين الأمرين لوجهين :

(١) جزء من حديث أخرجه البخارى [١٤١٤] ، [١٤١٧] ومسلم [٢٨١٦/٧٥] وبلفظ « لن يدخل أحدكم عمله الجنة » .

بيان وجود الجنة الآن

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُورَاتٍ بِغَيْرِ مَعْرُورٍ مِّنْهُ وَالشَّجَرُ مِنْهَا زَيْتُونٌ مَّشْهُوًّا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ مِنَ الزَّيْتُونِ ۚ وَأَلْوَانُ ثَمَرِهِ أَخْضَرٌ وَأَقْصَرُ وَطَآئِفًا حَمِيقٌ يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ لَا يَلْبِثُ الْبَاقِيُونَ ۚ ۝١٤١﴾ [الأنعام : ١٤١] .

قوله تعالى : ﴿ هُوَ أَنشَأَ ﴾ أى أوجد على إبداع لم يسبق له مثل ، فلم يكن هناك غافج أو وسائل إيضاح لمساعدة الله سبحانه وتعالى ، وإنما ابتدأها سبحانه على غير مثال سابق ؛ لأنه لا يوجد خالق سواه . وهو سبحانه الخالق البارئ المصور ، لا إله غيره ولا رب سواه ^(١) .

(١) وعن وجودهما الآن ومكانها قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَاكَ إِذْ رَأَيْتَ نُورَ الْفَتْحِ ۖ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ ۖ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ ۖ حَقًّا وَمَوْعِدًا ۖ ۝١٤٢﴾ [النجم : ١٤٢] . وقيل ثبت أن سلوة التتهى فوق السماء وسجيت بذلك لأنها يتوهى إليها ما يترل من عند الله فيقبض منها وما يصعد إليه فيقبض منها .

وقال تعالى : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقًا وَرَآءَ عُدُونِ ۚ ۝١٤٣﴾ [الذاريات : ١٤٣] .

= أحدهما ما ذكره سفيان وغيره قال : كانوا يقولون : النجاة من النار بفقر الله ، ودخول الجنة برحمته ، واقتسام المنازل والدرجات بالأعمال .

والثاني : أن الباء التي نقت للدخول هي باء المعارضة التي يكون فيها أحد العوضين مقابل الآخر ، والباء التي أتيت للدخول هي باء السببية التي تقتضي سببية ما دخلت عليه لغيره وإن لم يكن مستقلاً بهصوله .

وقد جمع التي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بين الأمرين بقوله : « سددوا وقاربوا وأبشروا » ، واعلموا أن أحداً منكم لن يتجو بعمله . قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته . ^(١)

ومن عرف الله تعالى وشهد مشهده حقه عليه ومشهد تقصيره وذنبه ، وأبصر هذين المشهدين بقلبه عرف ذلك وجزم به . والله سبحانه وتعالى المستعان .

(١) أخرجه البخاري [٢٤٦٤] [٢٤٦٧] ومسلم [٢٧٩/٢٨١٦] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « قاربوا وسددوا » ، واعلموا أنه لن يتجو أحدٌ منكم بعمله ، قالوا : يا رسول الله ، ولا أنت ؟ قال : « ولا أنا » ، إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفعل .

وكلمة ﴿ جَنَّاتٍ ﴾ تؤدي ما نعرفه من المكان المحدد الذي

يجمع صنوف الزروع والثمار مما تقتات ، وتسمى جنة وتسمى جنات ، لأن المادة كلها كما هو معلوم تدل على الستر وعلى التغطية .

والجنة هي المكان المطلق بالزروع والثمار وتعلو الأشجار فيه وتكثف وتلتف أغصانها وفروعها بحيث تستر من يكون بداخلها ، وتستتر المكان أيضاً عن بقية الأمكنة ؛ لأنه لا حاجة له إلى الأمكنة الأخرى ؛ ففي الجنة كل مقومات الحياة من غذاء ، وفاكهة ومرعى ، وماء ، وخضرة ، ومتعة ، وفيها من كل شيء . كما نسمى البيت العظيم البناء الذي يشتمل على كل المرافق « قصراً » لأنه قصر كعن أي مكان سواه ؛ لأن فيه الأشياء التي تحتاج إليها كلها ، فلا تحتاج إلى شيء معه .

قال ابن أبي نجیح عن مجاهد : هو الجنة .

وفي الصحيحين من حديث أنس في قصة الإسراء وفي آخره : ثم انطلق بي جبريل حتى انتهى إلى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدرى ما هي ؟ قال : ثم دخلت الجنة فإذا فيها =

٤٢

جنة وعد المسند

جنايذ اللؤلؤ وإذا تراءى المسك ١٦١ .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي . إن كان من أهل الجنة ، فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار ، فمن أهل النار ، يقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى إليه يوم القيامة » (١) .

وعن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال : « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في جنازة رجل من الأنصار - فذكر الحديث - ، وفيه : « فينادى مناد من السماء أن صدق عبدی فأفرشوه من الجنة والبسوه من الجنة واقتحوا له باباً إلى الجنة ، قال : فيأتيه من رزقها وطيبها » (٢) .

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري [٣٤٩] ولفظه « حبال »

ومسلم [٢٦٣/١٦٣] .

(٢) أخرجه البخاري [١٣٧٩] ، ومسلم [٦٥/٢٨٦٦] ، والترمذي [١٠٧٢] ، والنسائي في المجتبى [١١٣/٢] ، وأحمد في المسند [٢٠٧٢، ٢٠٧١/١٠٧/٤] .

(٣) جزء من حديث رواه أحمد [٢٨٧/٤] ، والحاكم =

٤٣

جنة وعد المسند

= فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله ، قالوا : يا رسول الله رأيك تناولت شيئا في مقامك ثم رأيك تكلمت ، فقال ﷺ : إني رأيت الجنة فتناولت عفتودا ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا ، ورأيت النار فلم أر منتظرا كالיום قط أفتطع ، ورأيت أكثر أهلها النساء ، قالوا : ثم يا رسول الله ؟ قال : بكفرن . قيل : أيكفرن بالله ؟ قال : يكفرن المشير ويكفرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأيت منك شيئا قالت : ما رأيت منك خيرا قط ^(١) .

وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : ... ما من شيء توعده إلا قد رأيته في صلاحي هذه ، لقد جيء بالنار وذلك حين رأيتموني تأخرت مخالفة أن يعينني من لفحها ، وحتى رأيت فيها صاحب البيهجن يجر قضيه في النار ، وكان يسرق الحلاج بحججه ، فإن فطن له قال : إنما تملق بجحني وإن غفل عنه ذهب به ، وحتى رأيت فيها صاحبة الهرة التي ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل =

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري [١٠٥٦] واللفظ له ، ومسلم [١٧/٩٠٧] ، والنسائي في المجتبى [٣/١٧٤٩/٣٧٤٩٦] .

= وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه ، إنه ليسمع قريح يقول ، قال : يأتيه ملكان فيعمدانه فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ قال : فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، قال : فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة ، قال : نبي الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : فيأمرهما جميعا ^(١) .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : انخفضت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فذكر الحديث وفيه : « وقال : إن الشمس والقمر آيات من آيات الله لا يخسفان لمرت أحد ولا لحياه ، =

= [٣٩-٣٧/١] ، وأبو داود [٢٧٥٣] ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود [٣١٧٩] .

(١) أخرجه البخاري [١٣٣٨، ١٣٧٤] ومسلم [٧٠/٢٨٧٠] واللفظ له ، والنسائي في المجتبى [٤/٩٧٠٥-٢٠٠٥/٢٠٠٥] ، وأحمد في المسند [٣/١٢٦] .

بالمكاه، فرجع إليه فقال: وعزتك لقد خفت ألا يدخلها أحد،

قال : اذهب إلى النار فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها .

فإذا هم يكب بعضها بعضاً ، فرجع إليه فقال : وعزتك لا

بسم بها أحد فيدخلها ، فأمر بها فحفت بالشهوات . فقال

أجمع إليها فرجع إليها . فقال : وعزتك لقد خشيت أن لا

منها أحد إلا دخلها،^(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : (حَجَبَتِ النَّارَ

بالشهادان وحجبت الجنة بالملكاء^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه

وعلى آله وسلم قال : « تُحَاجِّبُ النَّارُ وَالْجَنَّةُ . فَقَالَتِ النَّارُ :

أوتنر بالتكبير والتجبرين . وقالت الجنة : فما لي لا

يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم . فقال الله للجنة

أنت رحمتي ، أرحم بك من أنشاء من عبادي .

وقال للنار : أنت عبادي ، أعدبُ بك من اشاء من عبادي .

رواه الترمذی [۲۵۶۰]، وأبو داود [۷۸۴۴]، والنسائی [۳/۸]

وأحمد في المسند [٣٣٢/٢]. وحسنه الأرنؤوط.

والترمذی [۲۰۰۹] .

رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « لتيت إبراهيم ، ليلة أسرى نبي فقال : يا محمد أقوى أمك مني السلام ، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء ، وأنها قيعان ، وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر »^(١) .
وعن جابر رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال : « من قال : سبحان الله العظيم وبحمده ، غُفِرَت له ذنوبه في الجنة »^(٢) .

○○○

- (١) رواه الترمذی [٣٤٦٢] ، وحسنه الألبانی في صحيح الجامع [٥١٥٦] والصحیحة [١٠٠٧] ؛ وصحيح الترمذی [٢٧٥٥] .
(٢) رواه الترمذی [٣٤٦٥، ٣٤٦٤] ، وصححه الألبانی في الصحيحه [٢٧٥٢] ، وابن حبان في صحيحه [٨٢٧، ٨٢٦] . وقال ابن حبان : رجاله ثقات وصححه الألبانی في صحيح الترمذی [٢٧٥٧] ، ورواه ابن ماجه [٢٨١٦] من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وصححه الألبانی في صحيح ابن ماجه [٣٠٧٤] .

= ولكل واحدة منكم ملوؤها . فأما النار فلا تغتلى . فيضع قدمه عليها ؛ فتقول : قط قط . فهناك تغتلى . ويؤذى بعضها إلى بعض »^(١) .

وعن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال : « بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافاه قباب البر الجوف ، قلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكثر الذي أعطاك ربك ، فإذا طيه أو طينه مسك أذفر »^(٢) شك مذهب . وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « دخلت الجنة فرأيت فيها داراً أو قصرًا قلت : لمن هذا ؟ فقالوا : لمر ابن الخطاب . فأردت أن أدخل فذكرت غيرك ، فبكي عمر وقال : أي رسول الله أو عليك يُنار »^(٣) .

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : قال =

- (١) أخرجه البخاري [٤٨٥٠] ، ومسلم [٣٥/٢٨٤٦] واللفظ له ، وأحمد في المسند [٥٠٧/٢] .
(٢) أخرجه البخاري [٦٥٨١] ، وأحمد في المسند [١٩١/٣] .
(٣) أخرجه مسلم [٢٠/٢٣٩٤] ، وأحمد في المسند [١٩١/٣] وينحوه البخاري [٣٦٧٩] .

فقال رسول الله ﷺ : يا حارث : عرفت فالزم - ثلاثاً^(١١) .

ومعلوم أن لكل حرف من الحروف الدخلة على الفعل ملحظ ومعنى .

وقوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَكَ جَنَّتِي ﴾ [النساء : ٢٥٧] . معلوم أنه إذا ذكرت الجنة على إطلاقها تنصرف إلى جنة الآخرة فهي الجنة بحق ، أما جنة الدنيا فمن الممكن أن يحدث لها ما يحدث للزروع والنباتات التي نراها من جفاف للورق ثم تساقط ، وقد ييس نباتها وشجرها ويتناثر ، أو يصيبها الجذب فلا تنمر أصلاً ، أما جنة الآخرة فهي ذات الأكل اللذيذ .

وإن قيدت كلمة : « الجنة » بأى قيد أو وصف ، فالتعبد منها معنى آخر ؛ كقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّا نَبْرَأُكُمْ كَمَا نَبْرَأُ أَصْنَافَ لَبَنَةٍ إِذْ آمْتُمُ آبْرَهُمْ مُمَيَّنِينَ ﴾ [القصص : ٢١٧] .

(١) رواه الطبراني في الكبير [٢٣٢١٧/٢١٦/٣] ، وعبد بن حميد في مسنده [٤٤٥] . ومعنى قوله : « يتضاغون » : يستغيثون .

المعجم الوسيط [ص : ٢٥٤١] .
(٢) قال ابن القيم : الجنة اسم شامل لجميع ما حوته من البساتين والمسكن والتصور ، وهي جنات كثيرة جداً كما روى البخاري =

الجنة .. وعد الله للمؤمنين

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سُبْحَانَكَ جَنَّتْ نَجْوَى مِنْ نَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء : ١٢٢] .
المتيقن من صدق كلام الله سبحانه ، الواثق به ، يعلم أنه لا توجد مسافة تبعده عن عطاء الله تعالى ، مثال ذلك حينما سأل النبي أحد الصحابة وكان اسمه الحارث بن مالك الأنصاري : « كيف أصبحت يا حارث ؟ » .

قال الصحابي : أصبحت مؤمناً حقاً .

لقد أجاب الصحابي بكلمة كبيرة المعاني وهي الإيمان حقاً ؛ لذلك قال رسول الله ﷺ : « انظر ما تقول ، فإن لكل شيء حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟ »

فأجاب الصحابي رضى الله تعالى عنه : عرفت نفسي عن الدنيا ، وأسهرت لذلك ليلي ، وأطمأت نهارى ، وكأننى أنظر إلى عرش ربى بارزاً ، وكأننى أنظر إلى أهل الجنة يترارون فيها ، وكأننى أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ كَعَمَلِكُمْ جَنَّاتُمْ يَتْرَوْنَ أَصَابَهَا

كَأَيْلٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٥] .

والجنة بريدة هي البستان على مكان عال ، وهي ذات مواصفات أعلى عما وصل إليه العلم الحديث ؛ لأن الأرض إذا كانت عالية لا تستطيع المياه الجوفية أن تفسد جذور النبات المزروع في هذه الأرض ، ولذلك قال تعالى : ﴿ فَكَانَتْ أَكْثَمَهَا يُنْفِقَتَيْنِ ﴾ [البقرة: ٢٦٥] .

ويريد على ذلك أنها بريدة ، وأنها تروى بالمطر من أعلى ، ومن الطل ، فتأخذ الترى من المطر للجذور ، والطل لفصل الأوراق . لذلك قال سبحانه : ﴿ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ [البقرة: ٢٥] ويطمئنا سبحانه على احتفاظها بنضرتها وخضرتها ، وأول شيء يسبح الخضرة ، هو أن ينضب الماء فتذبل الخضرة .

= والسياق يدل على أنه نفى فوق . فإن قيل : فكيف اتسعت هذه الجنان الأربع على من خاف مقام ربه ؟ قيل : لا كان الخائفون نوعين كما ذكرنا كان للمقرنين منهم الجنان الماليتان ولأصحاب اليمين الجنان اللتان دونهما .

- السادس : أنه قال : ﴿ فَبَيْنَ قَعِيرَتٍ الظَّرْفِ ﴾ [الرحمن: ٥٦]

أي قد قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يرون غيرهم لرضاهن بهم ومحبتهن لهم ، وذلك يقتضي قصر أطراف أزواجهن عليهن فلا يدعهم حسنهن أن ينظروا إلى غيرهن ، وقال في الآخرين : ﴿ حُورٌ مُقَرَّرَاتٌ فِي الْبُيُوتِ ﴾ [الرحمن: ٧٢] ومن قصرت طرفها على زوجها باختيارها أكمل من قُصِرَتْ بغيرها . السابغ : أنه وصفهن بشبه الباقوت والمرجان في صفاء اللون وشرافة وحسنه ، ولم يذكر ذلك في التي بعدها .

الثامن : أنه قال سبحانه وتعالى في الجنتين الأولين : ﴿ هَكَذَا جَزَاءُ الْيَاسَنِ إِلَّا الْيَاسِنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠] وهذا يقتضي أن أصحابهما من أهل الإحسان المطلق الكامل فكان جزاؤهم بإحسان كامل .

التاسع : أنه بدأ بوصف الجنتين الأولين وجعلهما جزاء لمن خاف مقامه وهذا يدل على أنهما أعلى جزاء الخائف لقامه ، فزيب الجزاء المذكور على الخوف ترتيب المسبب على سببه ، ولا كان الخائفون على نوعين : مقرين ، وأصحاب يمين . فذكر حتى المقرين ثم ذكر حتى أصحاب اليمين . العاشر : أنه قال : ﴿ وَبَيْنَ دُونِكَا جَنَّاتٍ ﴾ [الرحمن: ٦٢] =

إنما يأتي ممن له مصلحة ، ليحقق نفسه سر ١٢٠ -
ليحققه ، والله سبحانه وتعالى منزّه عن ذلك .
وقوله : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ ﴾ ، الوعد : بشاره بخير يأتي زمانه
بعد الكلام .

والوعد : إنذار بسوء يأتي بعد الكلام .
فالوعد : يشجع السامع على أن يبذل جهده ويعمل ؛ حتى
يتحقق له الخير الذي وعده به .

والوعد : يعطي السامع فرصة أن يجتمع عما يفضيب الله حتى
لا يناله عذاب الله .

على أننا نلاحظ في القرآن الكريم أن الحق سبحانه وتعالى
قال : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ ﴾ [النوبة : ١٧٨] ثم
ذكر العذاب الذي ينتظرهم .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ
وَالْمُنَافِقَاتِ ﴾ [النوبة : ١٧٢] ثم وصف النعيم الذي ينتظرهم .
مع أن الشائع في اللغة أن الوعد يكون بالخير والوعد يكون
بالشر ، فكان من المناسب في عرف البشر أن يقول الحق
سبحانه وتعالى : « أوعد الله المنافقين » ؛ لأن الذي سيأتي بعد

هنا وعد من الحق سبحانه إلى عباده المؤمنين أصحاب العمل
الصالح بالخلود في الجنة ، والخلود هو المكث الطويل .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ [النساء : ٥٧]
أى : أن المكث في الجنة ينتقل من المكث الطويل إلى المكث الدائم .
وقوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ
قِيلًا ﴾ [النساء : ١١٢] . حين يعدك من لا يمينه شيء عن إنفاذ
وعده ، فهذا هو وعد الحق ، أما إذا وعد المساور لك فقد لا
يتحقق ، لعله ساعة إنفاذ الوعد يغير رأيه ، أو لا يجد اليسار
والشعة والغنى فلا يستطيع أن يوفى بما وعد به ، أو قد يتغير قلبه
من ناحيتك ، لكن الله سبحانه وتعالى لا تعثره الأغيار ، ولا
يعجزه شيء ، وليس معه إله آخر يقول له : لا . لذا فإن وعده
سبحانه لا رجوع فيه ولا محيص عن تحقيقه .

وقول الله هنا : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ
قِيلًا ﴾ ؟ هو كلام واضح محدد لكل واحد منا ، جاء على
صورة الاستفهام لتكون الإجابة من الخلق إقراراً بصدق ما
يقوله الله سبحانه ، وهل يوجد أصدق من الله حديثاً ؟
وتكون الإجابة : بالطبع لا يوجد ، حاشا لله ؛ لأن الكذب

وإذا أردنا أن نفهم لماذا جاء الحق سبحانه بحكمه هو وعد
لا من و أوعده ؟ نقول : إن الحق سبحانه وتعالى بعد أن
عرّف المنافقين والمنافقات ، ثم تكلم عن جزائهم إن أصروا
على نفاقهم ، كان ذلك تحذيراً حتى لا يُصروا على النفاق
وتخويفاً من العذاب الذي ينتظرهم ؛ عليهم يعلمون عن النفاق
وينصرفون إلى الخير الموجود في الإيمان .

إذن .. فالحق سبحانه وتعالى حين حذرهم بالوعد نصيحهم ،
كما تقول لمن يهمل في دروسه : و سترسب إذا أهملت
دروسك . فتكون بذلك قد خدمت إقباله على المذاكرة .
وأوصلته بالوعد إلى أن يتجنب الأمر الذي أوعده به ؛ ولذلك
قال الحق سبحانه وتعالى : ﴿ يُرْسِلْ عَلَيْكَ شَرَّاطًا مِنْ نَارٍ وَتَسْمَعُ قَلًا
تَنْفِرُكَ ۝ وَيَأْتِي بِآيَةٍ رِيكًا تَكْذِبُكَ ۝ ﴾ [الرحمن : ١٠]

هل الشواظ من النار نعمة حتى يقول الحق سبحانه وتعالى :
﴿ وَيَأْتِي بِآيَةٍ رِيكًا تَكْذِبُكَ ۝ ﴾ أي : فبأي نعم ربك تكذب ؟
نقول : نعم إنه نعمة ؛ لأن الحق سبحانه وتعالى حين يوضح
لك : إن خالفت هذا فستذهب إلى النار ، يكون قد قدم لك
العظة والنصيحة ؛ والعظة والنصيحة نعمة ؛ لأنه يجعلك

التي تختارها ، وإن أهملت دروسك رست وفصلت من
التعليم وضاع مستقبلك . هنا وعد ووعد . إن وفيت ما
وعدت ووفيت ما توعدت ، استقام ميزان الحياة . ولكن إذا
جئت لإنسان لم يذكر وأنجزته وأعطيه أعلى الدرجات
مخالفاً بذلك وعيدك له ، فأنت تهتم قضية كونه يترتب
عليها مصالح الخلق كلهم .

وإن وعدت من يحصل على ٩٥٪ مثلاً أنه سيدخل كلية الطب ، ثم أخلفت وعداك فدخل كلية الطب من حصل على ٩٤٪ واستبعد الحاصل على ٩٥٪ بسبب تدخل الأهواء ! تكون أيضاً قد اعتديت على حركة الحياة كلها ، وأفسدت قسمة العمل الجاد في حركة الحياة ، وكل من لا يملك القدرة على تنفيذ ما وعد به أو أعد به ، لا يكون لكلامه وزن في حركة الحياة .

على أنه إذا كان الرعد والوعيد من الحق سبحانه وتعالى فإنه
مختلف مع منطق البشر ؛ لأننا أهل أفعال ، فقد أعد بخير ثم
لا أستطيع تنفيذه ، وقد أعد بعقاب ثم أعجز بسبب ظروف
معينة فلا أقوى على التنفيذ .

تتجنب طريق النار وتختار طريق الجنة .

إذن .. فحين يحذر الله المنافقين والمنافقات بالصبر الذي ينتظرهم ، يكون هذا خيراً ونعمة ؛ لأنهم إن اتصفتوا وأقبلوا عن النفاق إلى الإيمان فهم ينجون أنفسهم من عذاب النار ، وفي هذا خير عظيم . ولذلك ذكر الحق سبحانه وتعالى كلمة : ﴿ وَعَدَ ۞ ﴾ . والله تعالى أعلم .

الحق سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَعدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ والوعد كما قلنا آتياً : بشارة بخير مستقبل ، والوعيد إنذار بشئ يأتي في المستقبل ، والوعد والإبعاد هما ميزان الوجود في الدنيا والآخرة ؛ لأنك إن وعدت من يلتزم بتهج الله خيراً ، استحسن الناس جميعاً أن يصلوا إلى الخير باتباعهم التهج ، وإن أوعدهم بشر إن خالفوا منهج الله ؛ نفر الناس من الخالفة والمصيبة خوفاً من العذاب وتجنبوا الشر . فإن صدق وعدك لأهل الخير بالخير ، وصدق وعدك لأهل الشر بالشر ؛ استقام ميزان الحياة .

ولذلك نقول للذي بذاك : « إنك مستجيب » ، فإن أُنفت المذاكرة حصلت على المجموع الذي يؤهلك للدخول الكلية

الأمر محل شك لقال أبو لهب : هكذا خلع رب محمد .
 وبلغ محمد ولكني أشهدكم أنني آمنت برب محمد ، ولكن
 الله القادر على إنفاذ حكمه وعده ، المليم بأمور خلقه ،
 المشهور منها والغائب ، الذي إذا حكم فلا مرد لحكمه ، ولا
 معقب على أمره ، لا إله إلا الله ، وهو على كل شيء قدير .
 وما دام الله لا إله إلا هو فأمره نافذ حتى في الأمور
 الاختيارية في الحياة ، فإذا قال الله في القرآن : ﴿ لَا مَبْدَلَ
 لِكَيْدِكُمْ ۚ ﴾ [الكهف: ٢٢٧] . فإذا وعد سبحانه بخير فإن وعده
 آت لا محالة ، وإذا أوعد بشر فسوف يقع حتماً .

إذن .. فلاكي تستقيم موازين الحياة ، كان لابد أن يأتي
 الوعد والوعيد من الحق سبحانه وتعالى حتى نكون على يقين
 بأنه سيحدث ؛ لأنه لا أحد يشارك الله في ملكه ، ولا يوجد
 قوى إلا الله ، ولا غالب إلا الله ؛ لأنه هو الله الواحد الأحد .
 وقد يأتي الحق سبحانه وتعالى بسنة كونية واقعة ، فانت
 حين تزرع الأرض وتحسن حرثها ، وريها ، وروضع البذور فيها ،
 يأتيك الحصول بوفرة . وإذا أهملت الأرض وتركتها بلا حرث
 ولا زرع ولا بذور ، فإنها لا تعطيك شيئاً .

إذن .. فلاكي تستقيم حركة الحياة ، لابد أن يأتي الوعد
 والوعيد من القادر دائماً ، القوي دائماً ، الموجود دائماً ،
 صاحب الكلمة العليا بحيث لا يوجد شيء يمكن أن يجعله لا
 يعني بوعده أو لا يفيهم وعيده ، وليس ذلك إلا الله تعالى وحده .
 ومن دلائل قدرته وإعجازه سبحانه قوله تعالى : ﴿ تَبَيَّنَ بَيِّنَاتٌ
 أَنِّي لَهَبٌ وَنَبَأٌ ۖ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۖ ۝
 سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۖ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۖ فِي
 جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسْلَمٍ ۖ ۝ [النس: ١٠] .

الله سبحانه وتعالى قد حكم في هذه السورة الكريمة ؛ بأن
 أبا لهب وامرأته سيموتان كافرتين ، وسيدخلان النار ، وكان
 كثيراً من كانوا على الكفر وقت نزول هذه السورة مثل :
 خالد بن الوليد ، وعكرمة بن أبي جهل ، وعصرو بن العاص
 وغيرهم ؛ آمنوا وحسن إسلامهم ، وجاهدوا في سبيل الله ،
 فلماذا قال الله تعالى بأن أبا لهب وامرأته لن يؤمنيا كما آمن
 عمرو ، وكما آمن عكرمة ، وكما آمن خالد ابن الوليد ..
 وغيرهم ؟

نقول : لأن الله تعالى يعلم ألا بأنهما لن يؤمنيا ، ولو كان

إذن .. فميزان الوعد والوعيد هو دولا ب حرب له احياءه ، موت
اختل هذا الميزان وجاء الوعد مكان الوعيد ؛ أى كوفىء الذى
لا يعمل ، وعوقب الذى يعمل فسد الكون . لماذا ؟ لأن كل إنسان
يحب النفع لنفسه ، ولا يختلف فى ذلك مؤمن أو عاص أو كافر ،
ولكن المعاصى والكافر يجهان نفسيهما جباً أحق ؛ فيحققان
لها نفعاً قليلاً زمنه محدود ؛ بينما مستمر زمنه بلا حدود .
أما المؤمن فهو إنسان كَيِّس فَيُنَازِلُ بالكاء ويُعد النظر ؛
لذلك فهو حرم نفسه من متعة عاجلة فى زمن محدود ،
ليحقق لها متعة أكبر فى زمن لا ينتهى بطاعته لله تعالى .
ولقد ضربنا مثلاً لذلك - ولله المثل الأعلى - فقلنا : هب أن
هناك آخرين : أحدهما يستيقظ من النوم مبكراً ، فيصلى ثم
يتناول طعام إفطاره ثم يأخذ كفيه ويذهب إلى المدرسة ،
ويحسن الإحصات للمدرسين ويعود إلى البيت ليذاكر دروسه .
والآخر يظل نائماً يتمتع بالنوم ، ويقوم عند الضحى ،
فيخرج ليتسكع فى الشوارع ، وحين تحلته نفسه بأى متعة
فهو يحققها بصرف النظر عن حكمها فى شرع الله أحرام هى ،
أم حلال ؟

إذن .. فالسنة الكونية هنا كشفت عن أنها :الذى بجهد فى
زراعة أرضه سيجد المحصول الوفير ، وأن من لا يقبل على زراعة
أرضه بعناية ورعاية فإنه لن يحصل على ثمرة واحدة منها .
ولو اختلف الأمر وجدنا من زرع وحرث وسقى وأتقن
كل شيء ، لم يحصل على الثمار ، ومن زرع ولم يتقن عمله
ولم يتعمده بالعناية ولا الرعاية أعطته الأرض من ثمارها الكثير ،
لأنقلب المآثر فى الكون ، وما وجدنا أحداً يتعهد أرضه ولا
يرعاها !!

إذن .. فلكى تستقيم الحياة ، لا بد أن يكون الوعد والوعيد
من قادر على التنفيذ لا يعتبره الضمف ولا يتغير ولا يتبدل ،
وقد يكون ذلك سنة كونية نراها أمامنا فى كل يوم ولا يقع
ما هو مخالف لها . فالذى يجتهد فى تحصيل دروسه ينتجح ،
والذى لا يجتهد يرسب .

إذن .. السنة الكونية لو صدقت مع الواقع اعتدل ميزان
الحياة . ولو لم تصدق مع الواقع وتدخلت الأهواء لتجعل مثلاً
من لا يذاكر ينتجح ، ومن يذاكر يرسب ؛ اختلفت حركة
الحياة وضاعت القيم .

١ من جار على شيابه - اى : ضيعه فيما د يضيع
عليه شيخوخته ١ .

والقائمون على الأمر عليهم أن ينهوا المقلين على الحياة
بالوعد والوعد حتى يستقيم أمر حياتهم ، وعليهم ألا يؤجلوا
الوعد إلى أن تنضج الثمرة . ولا الوعد إلى أن يقع الشر .
وعلى كل ولى أمر ؛ فى أى مكان ؛ أن يراقب حركة أبنائه أو
من يتولى أمرهم ، فيشجع ويعد المجتهد ، ولا ينتظر حتى
ينجح ، بل لابد من الوعد لكى يتم الاجتهاد . ولا بد من
الوعد قبل أن يرسب الابن أو يضيع حياته ، فلا تنتظر حتى
يفسد الإنسان ثم بعد ذلك تنوعده ؛ لأن الوعد والوعد هما
اللذان يزان حركة الحياة .

ولذا رأينا فى مجتمع ما أن الذى يعمل لا يأخذ شيئاً ،
والذى لا يعمل يأخذ كل شيء ، فلنعرف أن المقاييس قد
اختلفت . وأن المتاعب قد بدأت فى المجتمع ؛ لأن الذى يعمل
حين يجد أن العمل لا يوصله إلى شيء ، فهو يوجه حركة
حياته إلى غير عمله ، فيبدل جهده كله فى النفاق والرياء ،
وقلب الحقائق وارضاء الذى ييده الأمر . وتكون النتيجة هى

إن كلا الأخوين يحب نفسه ، لكن الأول : أحب نفسه
فأعطاهما مشقة محتملة فى سنوات الدراسة ؛ لتعطيه راحة
ومركزاً ومالاً وجاقاً بقية حياته .

أما الثانى : فهو أحب نفسه أيضاً ولكنه أعطاهما المنفعة
المعجلة ، فأضاع حياته العملية ، وخرب مستقبله فلم يعد
يساوى بين أترانه شيئاً .

إذن .. فكل منا يحب نفسه ، ولكن مقاييس الحب هى
التي تختلف . فمننا من يأخذ المقياس السليم ، فيتحمل مشقة
قليلة ليأخذ نعيماً أبدياً ، ومننا من يعطى نفسه متعة عابرة ليفقد
نعيماً مقيماً .

وهذه سنة الحياة ، فلا تجد إنساناً ارتاح فى آخر حياته إلا إذا
كان قد أجهد نفسه فى سنواته الأولى ؛ ليصل إلى الراحة بقية
عمره ، ولا تجد إنساناً فاشلاً عالاً على المجتمع إلا إذا كان قد
أخذ حظه من الحياة فى أولها فيشتقى بقية عمره .

لذلك يقال دائماً : إنه لا يوجد من يأخذ حظه من الحياة
مرتين أبداً ، فالذى يتعب فى أول حياته يرتاح بقية عمره ،
والذى يرتاح أول حياته يتعب بقية عمره . والمثل الشائع يقول :

فما هو الذكر الذى يعنيه الله سبحانه وسدى
بعض الناس يحاول أن يدخل نفسه فى متاهة بالسؤال من
هو ذو القرنين ، هل هو قورش ؟ أو الإسكندر الأكبر ، أو
غيرهما ؟ نقول : إن هذا لا يعيننا ، بل ما يعيننا هو أن نلتفت
إلى أن ذا القرنين هو إنسان مكناه الله فى الأرض . وهذا ينطبق
على كل إنسان مكناه الله فى الأرض ؛ فى أى زمان ، وفى أى
مكان . ومهمة من يمكناه الله فى الأرض ألا يكتفى بعطاء الله
من الأسباب ، بل عليه أن يتبع هذه الأسباب ؛ مصداقاً لقوله
تعالى : ﴿ إِنَّا مَكِّنَّا لَكَ فِي الْأَرْضِ وَهَاتَيْنِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيلًا ۝٢٥ ﴾
فَاتَّبِعْ سَبِيلًا ۝٢٦﴾ والكهف : ٢ .

ومهمته - أيضاً - أن يثيب من يحسن عمله ، ويقاقب من
أساء عمله ، وفى هذا يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ ... قَالُوا
يَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّا كُنَّا أَنْتَ وَإِنَّا لَنَجِدُهُ فِيمَ ۝٢٧﴾ قَالَ إِنَّمَا مَن
عَلَّمَ قِسْوَ فَعَلَّهُمْ ثُمَّ إِذَا رُبُّهُ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا مُّكْرِ ۝٢٨ وَأَنَا مِّنْ
عَامِنٍ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ . وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا
بِشْرًا ۝٢٩﴾ والكهف : ٢ .

وأول ما يجب أن يهتم به كل ممكن فى الأرض ، بعد توليد

فقدان المجتمع لقيمة العمل فيصبح المجتمع بلا عامل منتج ،
ويصير مجتمعاً بارعاً فى فنون النفاق والرياء وضياح الحق .
وقد جعل الحق سبحانه وتعالى مقياس حركة الحياة فى
الوعد والوعيد ؛ فلا تعط حافزاً إلا لمستحق ، ولا مكافأة إلا
لمجتهد ؛ واعلم أنك إذا بعثت الحوافز على المنافقين ، والذين
يحققون لك أهدافك الشخصية ، كأن يتركوا عملهم
ليخندموك فى بيتك أو يقضوا لك مصالحك الخاصة ، ومنعت
الحوافز عن الذى يعمل فى جد ، تكون بذلك قد أفسدت
حركة الوعد والوعيد ؛ فتختل حركة الحياة فى المجتمع ، لأن
حركة كل إنسان يتقن العمل ويجهده ، هى حركة تنفع
المجتمع كله ، بصرف النظر عن صاحب الحركة نفسه ، فإذا
وجد عامل نشيط أنجز مصالح عشرات الناس ، أو موظف
مخلص أسعد كل من يتعاملون معه ، فإن أضمت أنت هؤلاء ،
فكانت أضمت المجتمع الذى تعيش فيه .

لذلك نجد الحق سبحانه وتعالى فى سورة الكهف يقول :
﴿ وَتَعْلَمُونَكَ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنه
ذِكْرًا ۝٢٨﴾ والكهف : ٢٨ .

هُوَ وَلَا تَعُولَنَّ لِشَاغِيهِ إِنِّي قَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿١٠﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَذَكَرَ رَبَّكَ إِذَا فَسَيْتٌ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي ربي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَحْمَةً ﴿١١﴾ وَالْكَهْفُ ٢٠

وليس معنى هذا أن نمتنع عن التخطيط ، كوضع خطط لعام قادم ، أو حتى لسنوات قادمة ، ولكن قل : إن شاء الله سوف أفعل ذلك غداً ، أو : إن شاء الله سأفعل كذا في العام القادم ؛ خشية أن ما تعد به ، قد تأتى وقت الوفاء ولا تجد عندك القدرة على أن تفعله ، فلا تركن لقوتك وقل إن شاء الله ، فيعينك سبحانه .

فإذا قلت - مثلاً - لإنسان : ستقابل غداً في المسجد عقب صلاة العشاء مثلاً ، لتكلم في موضوع كذا . هل تملك أن تعيش لغد ؟ أو يملك من وعده أنه يعيش لغد ؟ أو تملك أن يظل سبب اللقاء موجوداً ؟

إذن .. فساعة تقول : سأفعل ذلك غداً ، قل : ه إن شاء الله ؛ لأنك لا تملك شيئاً من أسباب الفعل . فكل فعل إنما يحتاج لفاعل وأنت لا تضمن بقاءك كفاعل .

ويحتاج كل فعل إلى مفعول يقع عليه ، وأنت لا تضمن

الطاقة من الأسباب ، هو معاقبة الظالم بالضرب على يده لتستقيم الأمور . وفي هذا إصلاح لحركة الحياة في الدنيا ، أما في الآخرة فللظالم عذاب آخر ، ذلك أن الدين يعيشون في الأرض فساداً لا يمكن أن نخوفهم بعذاب الآخرة ؛ لأنهم لا يؤمنون بالآخرة . ولو تركناهم ؛ ولم نأخذ على أيديهم ؛ ملأوا الأرض فساداً . والفساد في المجتمع لا يصيب الفساد فقط ، ولكن يكتوى به المجتمع كله .

إذن .. فلا بد أن نجعل لهم بالمعقوبة في الدنيا ، لنحصى المجتمع من الفساد ، ثم يملأهم الله في الآخرة ، إذا لم يؤمنوا ، ولم يحسبوا حساب لقاءه يوم القيامة ، وأما من آمن وأصلح في المجتمع وصلاح المجتمع بإيمانه ، فلا بد أن نجزيه خيراً ونشجعه . هذا هو قانون صلاح الكون ، وتلك هي معانيه . إذن .. يشترط فيمن يقوم بتقيد الوعد والوعيد القدرة الدائمة وعدم التغير والوجود الدائم ، فإذا كانت القدرة هي المطلوبة ، فلا يوجد أقدر من الله تعالى ، أما التغير فالله سبحانه يغير ولا يتغير ، وأما البقاء فلا بقاء ولا دوام لغير الله ؛ ولذلك نجد أن المؤمن الحق هو من يعمل بقول الحق سبحانه :

ويكون مستورا في كل مطلوبات حياته . فلا يحتاج إلى
منها ، لأن فيها كل مطلوبات الحياة من الماء والطعام وطيب
الكان .. إلخ .

فإذا كان الحق سبحانه وتعالى قد وعد المؤمنين والمؤمنات
جنان ، فإن المؤمنين : جماعة ، والمؤمنات : جماعة ، والموعود به
جنان : جمع ، ومقابل الجمع بالجمع يقتضي النسبة لأحاد ،
فيكون المعنى : أن الله وعد كل مؤمن جنة ، وعد كل مؤمنة
جنة ، والأفراد مستكررون .

إذن .. فالمرود به جنات لابد أن تتكرر ، فإذا قسمناها
عرفنا نصيب كل مؤمن ومؤمنة ، تماماً مثلما يقول الأستاذ
لتلاميذه : « أخرجوا كتبكم » . قوله : أخرجوا ، أمر لجماعة ،
وقوله : كتبكم ، جمع ، أي : على كل تلميذ أن يخرج كتابه .
وقول المعلم : أمسكوا أقلامكم . يعني : أن يسلك كل تلميذ
قلمه .

إذن .. قول الحق سبحانه : ﴿ وَعدَّ الله المؤمنين جنة .
والمؤمنات جنات ﴾ أي : أن لكل واحد منهم جنة .
وإذا سأل سائل وقال ولكن الحق سبحانه وتعالى يقول في

بقاء المفعول ، وكل فعل يحتاج إلى قوة ليعتم ، وأنت لا تضمن
بقاء قوتك ؛ فيجوز أن تعرض ولا تقدر على الحركة . كذلك
يحتاج كل فعل إلى سبب كي تفعله ، وقد يتغير السبب .
إذن .. فأنت لا تضمن شيئاً من أسباب الفعل ؛ لذلك لا تقل
سأفعل ذلك غداً ؛ بل قل : إن شاء الله تعالى لأن الذي يملك
أن ييقظك لغد ، أو يُقضي السبب أو يُقضي قدرتك على الفعل
هو الله .

ولكن إذا كان الذي وعد هو الحق سبحانه وتعالى ، فوعده
لا بد أنه واقع ؛ لأنه الباقي الذي لا يموت ، القادر دائماً الذي
لا تضعف قدرته ، الأفعال سبحانه لا يورده .

وقوله تعالى : ﴿ جَنَّتِ ﴾ جمع و جنة . ومادة الجيم
والنون هذه مأخوذة من الستر والتغطية . يقول الحق سبحانه
وتعالى : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا
أَفْلَحَ قَالَ لَا أُنَبِّئُكَ إِلَّا بِمَا نَسَى ﴾ [الأنعام : ٢٧٦] .

يعني : ستر وأظلم ، والجنون ستر العقل . والجنة تستر من
فيها ؛ لأن أشجارها كبرت ونمت وترعرعت . بحيث يكون
من يسير فيها مستوراً بأغصان الشجر وأوراقه ؛ فلا يراه أحد .

سورة الرحمن : ﴿ وَلَئِنْ -

نقول له لا بد أن ننتي

فسورة الرحمن :

الإنس والجن . فسبحانه وإ

صَلِّعَلِي كَالْمَخَارِ ﴿ ١٠ ﴾

تَارِ ﴿ الرحمن : ١٠ ﴾

وكذلك قول الحق جل ج

الْعَلَّادِي ﴿ الرحمن : ١٢١ ﴾ .

إذن .. فيكون للإنس جنة وللجن

سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَئِنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جِ

من خاف مقام ربه من الإنس له جنة ،

من الجن له جنة .

ويمكن أن يكون المعنى : أن لكل

سبحانه وتعالى علم ألا ما سيصير إليه

أو العجور ، ولكنه تبارك وتعالى لم يخف

لهم وحدهم ، أو يخلق للكفار نارا لهم

لكل واحد من خلقه إلى أن تقوم الساعة .

الساعة نارا^(١) ، فإذا دخل أهل الجنة

لتي خلقت ولم يدخلها أحد ، لأن

ار ، فيورثها الحق للمؤمنين أصحاب

سعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا

﴿ البرنبر : ٢٧٢ ﴾ .

مخلوقة لكم ، ولكنكم أورثتموها ؛ لأن

غار^(٢) .

١٦٥١٠ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال ،

ولا يدخل أحد الجنة إلا أرى مقعده من النار

شكراً ، ولا يدخل النار أحد إلا أرى مقعده

من ليكون عليه حسرة^(٣) .

٢٤٢٤١٦ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه

الله ﷻ : ما منكم من أحد إلا له منزلان : منزل

ل في النار . فإذا مات فدخل النار ، ورث أهل

لك قوله تعالى : ﴿ أَتُؤْتِيهِمْ أَزْوَاجَهُمْ ﴾ . قال

الزوائد : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

في صحيح ابن ماجه ٢٢٥٠٢٦ صحيح .

ما دمت قلت : « الله » ، ووجد لفظ الجلالة في لغتك ؛ فلا بد أن الله سبحانه وتعالى موجود قبل وجود لفظ الجلالة . والكفر طراً على اللفظ ، فحاول أن يستره ؛ ولذلك سمي الكفر سترًا لوجود الله . والستر لا يكون إلا لموجود .

إذن .. فالذي كفر ، ستر موجوداً ؛ فأعطى دليل الإيمان . إذن .. فوجود الله سبحانه شياق لعرفتنا اسم « الله » ، ومحاولة ستر ذلك بالكفر إنما هي دليل على وجود « الله » ؛ لأنك لا تستر إلا ما هو موجود .

إن الذي وعدنا بهذه الـ « جَنَّتِي » هو الله سبحانه وتعالى . وهو القادر على أن ينفذ ما وعدنا به ، من جنات فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر^(١) . وجعل هذه الجنات واسعة شاسعة ، فيها زروع وأزهار وأشكال ؛ تسر

(١) أخرج البخاري [٢٢٤٤] ، ومسلم [٢/٢٨٢٤] ، والترمذي

[٣١٩٧] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال : « قال الله عز وجل أعدت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، مصداق ذلك في كتاب الله هو فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزئياً بما كانوا يعملون » [السجدة : ١٧] .

وزيد الأمر هنا توضيحاً ، فالقرآن الكريم له أسلوب مميز ؛ لأن الذي يتكلم هو الله سبحانه وتعالى . ولذلك فإن كل لفظ من ألفاظ القرآن الكريم يأتي مطابقاً للمعنى تماماً .

وفي اللغة ، قيل أن تتكلم لا بد أن تكون عالماً بمعنى اللفظ . وأن يكون محدثك أيضاً عارفاً بمعناه حتى يستطيع أن يفهمك . فإذا قلت لإنسان مثلاً : « أحضر لي كوباً من الماء لأشرب » ، فلا بد أن يكون عارفاً لمعنى الماء ومعنى الكوب ، ولا فإنه لن يفهم . إذن .. فباتخاذ طلب توجد المعاني أولاً ثم توجد لها الألفاظ ؛ ولذلك قيل أن يتم اختراع الطائفة مثلاً لم يكن المعنى موجوداً ، وعندما اخترعت وفهمنا معناها وضع لها الاسم . فإذا وجدت لفظاً في اللغة ، فاعلم أن المعنى قد وجد أولاً قبل أن يوضع اللفظ أو الاسم ، ولعل هذا هو أكبر دليل لغوي ضد من ينكرون وجود الواجد الأعلى سبحانه وتعالى .

نقول لهم : إن اسم الله تعالى موجود في كل لغة ؛ وبما أن المعنى في اللغة يوجد أولاً . فوجود الله سبحانه وتعالى سابق لعرفتنا باسمه سبحانه وتعالى ؛ لأن الاسم لا يمكن أن يوجد إلا بعد أن يوجد المعنى ، وما دمت قد نطقت بالاسم ، فهذا دليل على أن الله موجود .

إذن .. فتقولك : إن الله غير موجود قول باطل ؛ لأنك

الطريق إلى الجنة

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ إِلَهَ الْيَرِيسِ مَآمَرٌ وَعَكِيمٌ الصَّالِحِينَ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتٍ الْغَيْرِ ﴾ [يونس : ٩] .

الهداية معناها الدلالة على الخير ، بالتهجج الذي أرسله الحق سبحانه لنا ، وبه يثبت الحق السبل أمام المؤمنين والكاثر ، أما الذي يقبل على الله بإيمان فيعطيه الحق سبحانه وتعالى هداية أخرى ؛ ييسر عليه أمر الطاعة ؛ ولذلك قال سبحانه : ﴿ وَاسْتَقِيمُوا بِالصَّبْرِ وَالْعَمَلِ وَإِنَّا لَكثيرٌ إِلَّا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : ٤٥] . وهكذا يتلقى المؤمن مشقات الطاعة بحب ؛ فيسرها الحق سبحانه له ويجعله يدرك لذة هذه الطاعة ؛ لتهورن عليه مشقتها ، ويحده سبحانه أيضاً بالمعونة ^(١) .

(١) قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَأَتِمُّوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَنُوتَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ [الأنعام : ١٥٣] وقال : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَسْدُ السَّبِيلِ وَفِيهَا جَاوِزٌ ﴾ [النمل : ٩] أى : ومن السبل جازر عن القصد وهي سبل النى وقال : ﴿ هَذَا صِرَاطٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الحجر : ٤١] .

العين بجمالها ، وتقع اللبس بنوعيتها ؛ وتلا الأنوف برائحتها الزكية .

ومن ميزات جمالها أن الأنهار تجري من تحتها ، ولا تجري من فوقها ، فمنابها ذاتية ؛ بمعنى أن الأنهار تنبع من نفس المكان . وكان كل نهر ينبع من تحت جنة خاصة به . وإذا أردت أن تعرف جمال هذه الأنهار ؛ فاعلم أنه جمال قد صنعه الحق سبحانه وتعالى .

ولذا كنا في حياتنا نرى أن لكل نهر شاطئين ، فإن أنهار الجنة تجري من غير شواطئ ؛ وإنما يسكها الذي أسلك السماء أن تقع على الأرض ، ثم تجد الأنهار قد تشترك في الجرى ؛ نهر اللبن ، ونهر العسل ، ونهر الماء ، ونهر الخمر ، وكلها تجري في مجرى واحد ولكنها لا تختلط ببعضها البعض ، فكل منها منفصل ؛ لأن الحق سبحانه وتعالى وهو الخالق أراد لها ذلك فبارك الله أحسن الخالقين .

○○○

يقول الحق سبحانه : ﴿ إِنَّ الدِّينَ أَمْرٌ وَسِعَ
الْعَالِيَيْنِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ ۖ ﴾ .

وما داموا قد آمنوا ؛ فسيحانه ينزل لهم الأحكام التي
تفيدهم في حياتهم وتضعهم في آخرتهم ، أو أن الهداية لا
تكون في الدنيا بل في الآخرة ، فما داموا قد آمنوا ، فهم قد
أخذوا المنهج من الله سبحانه وتعالى وعملوا الأعمال الصالحة ،
يهديهم الحق سبحانه إلى طريق الجنة .

= إن لصاحبكم هذا مثلاً قال : فاضربوا له مثلاً فقال بعضهم إنه
نائم وقال بعضهم إن المين نائمة والقلب يقظان ، فقالوا : مثله
مثل رجل بنى داراً وجعل فيها مائدة وبعث داعياً ، فمن أجاب
الداعي دخل الدار وأكل من المائدة ومن لم يجيب الداعي لم
يدخل الدار ولم يأكل من المائدة . فقالوا : أولوها له بفتحها ،
فقال بعضهم : إنه نائم ، وقال بعضهم إن المين نائمة والقلب
يقظان ، فقالوا فالدار الجنة والداعي محمد ﷺ ، فمن أطاع
محمدًا فقد أطاع الله ومن عصى محمدًا فقد عصى الله
ومحمد فرق بين الناس ، (١) .

(١) أخرجه البخاري [٢٧٨١] .

= وقال ابن مسعود : « خطب لنا رسول الله صلى الله عليه وعلى
آله وسلم خطباً وقال : هذا سبيل الله ، ثم خط خطباً عن
يمينه وعن يساره ، ثم قال : هذه سبيل ، وعلى كل سبيل منها
شيطان يدعو إليه ثم قرأ ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ فأيتموه
وَلَا تَلْوُوهَا السَّبِيلَ ۚ ﴾ (١) الآية [الأنعام : ١٥٣] .

فإن قيل : فقد قال الله تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ
وَكُتِبَ مُبِينٌ ۝ يَهْدِي بِدِ اللَّهِ مَرِيبَ السَّبِيلِ ۝ ﴾ [المائدة : ١٥] .

قيل : هي سبل تجمع في سبيل واحد وهي بجزالة الجراد
والطريق في الطريق الأعظم فهذه هي شعب الإيمان يجمعها
الإيمان وهو شعبة ، كما يجمع ساق الشجرة أغصانها وشعبها .
وهذه السبل هي إجابة داعي الله بتصديق خبره وطاعة أمره ،
وطريق الجنة هي إجابة الداعي إليها ليس إلا . وقد روى
البخاري في صحيحه عن جابر قال : « جاءت ملائكة إلى
النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال بعضهم : إنه نائم ،
وقال بعضهم : إن المين نائمة والقلب يقظان . فقالوا : =

(١) رواه أحمد في المسند [٤٢٥، ٤٢٥/١] وقال الشيخ شاكر في
المسند [٤١٤٢ ، ٤٤٢٧] : إسناده صحيح .

ويقول الحق سبحانه في آية أخرى : ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

الْأَنْهَارُ ... ﴾ [التوبة: ١٠٠].

ويقول سبحانه في موضع آخر : ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

الْأَنْهَارُ ... ﴾ [النقرة: ٢٥].

إذن .. إلتحق سبحانه يعطينا صوراً متعددة عن الماء الذي لا ينقطع ، فهى مياه ذاتية الوجود فى الجنة ؛ لا تنقطع أبداً .

○○○

لذلك يقول الحق سبحانه : ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ

يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ... ﴾ [المجاد: ١١٢].

ويقول سبحانه : ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا

مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا

ثَنَا ثَوْرًا وَاصْفِرْ لَنَا إِلَيْنَا عَلَىٰ كُلِّ صَبَإٍ مُّبِينٍ ﴾ [الحج: ٢٨].

أى : أن نورهم يضيء أمامهم . أما المنافقون فيقولون للذين

آمَنُوا : ﴿ أَنْظِرُونَا نَقْتَنِسَ مِنْ نُورِكُمْ قَلِيلًا أَرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا

ثَوْرًا ﴾ [المجاد: ١١٣].

أى : أن هذا ليس وقت التماس النور ، فوقت التماس النور

كان فى الدنيا ؛ باتباع النهج والقيام بالصالح من الأعمال .

وبصف الحق سبحانه حال المؤمنين فى الجنة فيقول :

﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتٍ الْيُسْفَرُ ﴾ [عن: ٩].

إذن .. إن الجنة على حواف الأنهار ؛ لأن الحضرة أصلها

من الماء . وكلما رأيت مجرى للماء لا بد أن تجد خضرة ،

والجنان ليست هى البيوت ، بدليل قول الحق سبحانه :

﴿ ... وَمَسْكَنٌ كُنُوسُهُ فِي جَنَّةٍ عَذْوَةٍ ﴾ [التوبة: ٧٢].

الله يدعو إلى دار السلام ويهدي إليها من يشاء

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَآلَهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى دَارِ السَّلَامِ ﴾ [يونس : ٢٢٥] .

ودار السلام : هي الآخرة التي تختلف عن دار الدنيا الملية بالمناعب ، هذه الدنيا التي ترهق وتترخف ، وتنتهي إلى حطيم ؛ لذلك يدعو الله تعالى إلى دار أخرى ، هي دار السلام ؛ لأن من المنغصات على أهل الدنيا ، أن الواحد منهم قد يأخذ حظه جاهاً ، أو مالاً ، أو صحة ، ولكن في ظل مكابدة أمرين ، الأول : هو الخوف من أن يفوته هذا النعيم وهو حي . والثاني : أن يفوت هو النعيم .

أما الآخرة فالإنسان يحيا فيها في نعيم مقيم ؛ ولذلك يقول الله سبحانه : ﴿ وَآلَهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ ﴾ .

وهذه الآخرة لن يشاغب فيها أحد الآخر ، ولن تجد من يأكل حق غيره مثلما يحدث في الدنيا ، وإذا كنا نعيش في الدنيا بأسباب الله ، فنحن في الآخرة نعيش بالله سبحانه وتعالى ، فكل ما يخطر على بالك تجده أمامك .

وإذا كانت الأسباب تتوع في الدنيا وتختلف قدرات الناس فيها مع أخذهم بالأسباب ، فإنهم في الآخرة يعيشون مع عطاء الله سبحانه دون جهد أو أسباب ؛ لأن دار السلام هي دار الله تعالى ، فالله تعالى هو السلام .

وانظر مثلاً لذلك - والله المثل الأعلى - فأنت إذا دعاك ولي أمرك إلى داره ، فهو يُعَدُّ لدعوتك على قدره هو ، وبما يناسب مقامه . فما بالك حين يدعوك خالقك سبحانه وقد اتبعت منهجه ؟

وهذا السلام ليس من البشر ؛ لأن من البشر من يعطيك السلام وهو يُكَيِّنُ لك غير السلام ، أو قد يعطيك السلام وهو يريد بك السلام ، ولكنه من الأغيار ؛ فيتغير ، وبالتالي لا يقدر على أن يعطيك هذا السلام ، لكن إذا ما جاء السلام من الله تعالى ، فهو سلام من رب لا يعجزه شيء ، ولا يعوزه شيء ، ولا تعثر به سبحانه أغيار ؛ لذلك يقول سبحانه : ﴿ ... وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴾ [الرعد : ٢٠] .

واللاحكة حين يقولون ذلك إنما أخذوا سلامهم من سلام الله تعالى ، وحتى أصحاب الأعراف الذين لم يدخلوا الجنة ،

يَا عِطَاءُ حَقَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَؤُلَاءِ الْفُقَرَاءِ ؛ وَبِذَلِكَ يَتَعَطَّلُ مُنْهَجُ
 اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى . وَصَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ
 ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
 أَعْمَى ﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿ ١٨٥ ﴾ .

○○○

ويعرون أهل الجنة وأهل النار ، هؤلاء يلقون السلام على أهل
 الجنة . وهكذا يرحب أهل الجنة في سلام شامل ومحيط مطمئن ؛
 لأن الداعي هو الله سبحانه ، ولا أحد يجبره على أن ينقض
 سلامه .

ودعوة الله سبحانه هي منهجه الذي أرسل به الرسل ؛
 ليحكم به حركة الحياة ، ليتعايش فيها الناس تعايشاً على وفق
 منهج الله تعالى ، بما يجعل هذه الدنيا مثل الجنة ، ولكن الذي
 يصيب الناس بالضنك والكدر في الدنيا ، أن بعض الناس
 يعطلون جزئية أو جزئيات من منهج الله سبحانه .

وأنت إذا رأيت مجتمعاً فيه لون من البشاعة في أى جهة ؛
 فاعلم أن جزءاً من منهج الله تعالى قد عُطِّل .

ولو أن الناس قد ساروا على منهج الله سبحانه وتعالى ؛ لما
 كان بالجمع عورة واحدة ؛ فالذى يظهر عورات المجتمع هو
 غفلة بعض الناس عن منهج الله سبحانه .

وإذا رأيت قراء لا يجدون ما يأكلونه ؛ فاعلم أن هناك من
 عطّل منهج الله تعالى ، إما من الفقراء أنفسهم ، الذين استمروا
 بعضهم حياة لكسل والسؤال ، ولما بأن الأغنياء قد ضلوا

خلق الرب ميراث وصى جـ وغرسها بيده تفضيلاً لها على سائر الجنان

قال عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنه : خلق الله أربعة أنبياء بيده : العرش ، والقلم ، وعدن ، وآدم عليه السلام ، ثم قال لسائر الخلق ، كُنْز ، فكان ^(١) .

قال ابن كثير : روى عن كعب الأجار ومجاهد وأبى العالية وغيرهم : لما خلق الله جنة عدن وغرسها بيده ، نظر إليها وقال لها : تكلمى ، قالت : هو قد أفلح التوتوثون ^(٢) . قال كعب الأجار : لما أعد لهم من الكرامة فيها . وعن أبى سعيد قال : خلق الله الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، وغرسها ، وقال لها : تكلمى . فقالت : هو قد أفلح التوتوثون ^(٣) . فدخلتها الملائكة فقالت : طوبى لك منزل الملوكة ^(٤) .

(١) رواه الحاكم [٢١٦/٢] والبيهقى فى الأسماء والصفات [ص: ٤٠٣] وقال الحاكم : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي .

(٢) تفسير ابن كثير [٢٢٨/٢] وعند الطبرانى فى الأوسط [١٩٩/٤] عن أبى سعيد رضى الله تعالى عنه عن النسي ^(٥) ، إن الله خلق جنة عدن وبناها بيده لبنة من ذهب ولبنة من فضة =

= الاسم السابع : دار الجنان ، قال تعالى : ﴿ وَلَكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ لَئِيَّ الْجَنَّةِ ﴾ [المكوت: ٢٦٤] .

الاسم الثامن : الفردوس ، قال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْفَرُثُونَ ﴾ [الذريعت: ٢٨] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْآدِينَ مَأْمَرًا وَعَمَلًا الصَّالِحِينَ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ [الجن: ١٣] .

الاسم التاسع : جنات النعيم ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْآدِينَ مَأْمَرًا وَعَمَلًا الصَّالِحِينَ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴾ [النعام: ٢٨] .

الاسم العاشر : المقام الأمين ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْآدِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ [النعام: ٥١] .

الاسم الحادى عشر : مقعد صدق ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْآدِينَ فِي جَنَّتِي وَنَهْرٍ ﴾ [مقعد صدق] .

الاسم الثانى عشر : قدم صدق ، قال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الْآدِينَ مَأْمَرًا إِنَّ لَهُمْ لَدَى اللَّهِ مَقْعَدًا وَجَدَ نَجْمِهِمْ ﴾ [نوح: ٢٢] .

صحيح حلى الأرواح [ص: ٨٢ : ٨٧] بصرف .

تربية الجنة وطينتها وحساباتها وبساتينها

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قلنا : يا رسول الله إنا إذا رأيناك رُتت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة ، وإذا فارقتك أعجبنا الدنيا ، وسمعنا النساء والأولاد .

قال : « لو تكونون - أو قال : لو أنكم تكونون - على كل حال على الحال التي أنتم عليها عندى ، لصافحكم الملائكة بالكهف ، ولزارتكم في بيوتكم ، ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون كي يغير لهم » .

قال قلنا : يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها ؟ قال : « ليلة ذهب وليلة فضة ، وملاطها المسك الأذفر ، وحسبائها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران ، من يدخلها ينعم لا يجُوع ، ويخلد لا يموت ، لا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه . ثلاثة لا ترد دعوتهم : الإمام العادل ، والصائم حتى يفطر ، ودعوة المظلوم تُختم على النعمان وتفتح لها أبواب السموات ويقول الرب عز وجل : وعزنى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين » ^(١) .

(١) رواه أحمد [٣٠٥٢٠/٦] ، وقال الأرنؤوط حديث صحيح بطريقه وشواهده ، وينحوه عند الترمذى [٢٥٢٦] وصححه الألبانى فى الصحيحة [٢١٩٩] روى صحيح الترمذى [٢٠٥٠] .

= قال ابن القيم : وقد اتخذ الرب تبارك وتعالى من الجنان دارا اصطفاها لنفسه وخصها بالقرب من عرشه وغرسها بيده ففى سيلة الجنان ، والله سبحانه وتعالى يختار من كل نوع أعلاه وأفضله ، كما اختار من الملائكة : جبريل ، ومن البشر : محمدا ﷺ وعلى آله وسلم ، ومن السموات : العليا ، ومن البلاد : مكة ، ومن الشهر : الحرم ، ومن الليالى : ليلة القدر ، ومن الأيام : يوم الجمعة ، ومن الليل : وسطه ، ومن الأوقات : أوقات الصلاة ، إلى غير ذلك فهو سبحانه وتعالى هو يختار ما يشاء ويختار ^(٢) [القصص : ٢٨] .

○○○

= وجعل ملاطها المسك وترابها الزعفران وحسبائها اللؤلؤ ، ثم قال لها تكلمى فقالت : « قد أفلح المؤمنون » فقالت الملائكة : طوبى لك منزل الملوك ، ^(٣)

ابواب الجنة

عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « في الجنة ثمانية أبواب فيها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون » (١) .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « من أفق زوجين في سبيل الله ، نُودي من أبواب الجنة : يا عبد الله هذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان ، ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ، فقال أبو بكر : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما على من دعى من تلك الأبواب كلها ؟ قال : نعم وأرجو أن تكون منهم » (١) .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « ما من مسلم يتوضأ فيحسن =

(١) أخرجه البخاري [٣٢٥٧].

(٢) أخرجه البخاري [١٨٩٦].

= وضوئه ثم يقوم فيصلي ركعتين مقبلًا عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة. قال: قلت ما أجود هذه فإذا قاتل بين يدي يقول: التي قبلها أجود، فنظرت فإذا عمر قال: إني قد رأيتك جئت آنفاً. قال: ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبح الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبد الله ورسوله إلا أتيت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء^(١١). وزاد الترمذي بعد^(١٢).

التشهد: اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين^(١٣).

وعن عتبة بن عبد السلمي رضي الله تعالى عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «ما من مسلم يتوفى له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الجنت إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل^(١٤)».

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم [١٧/٢٣٤]، وأبو داود [١٦٩]،
وأحمد في المسند [١٤٥/٤] .

(٢) رواه الترمذى [٥٠] وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى

• [3A/1]

(٣) رواه أحمد [١٨٣/٤]، والنسائي في المجتبى [١٨٧٣/٤/٤]، وابن ماجه [١٣٠/٤]، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه [١٦٠٥].

= يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى إبراهيم . فيأتون إبراهيم فيقولون : أنت نبي الله وخليفه من أهل الأرض ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم إبراهيم : إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ، ولا يغضب بعده غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ، اذهبوا إلى غيري ، مثله ، وذكر كذبابه ، نفسي نفسي ، فيأتون موسى فيقولون : يا موسى ، أنت اذهبوا إلى موسى . فيأتون موسى ويكليمه على الناس ، اشفع رسول الله ، فضلك الله برسائه ويكليمه على الناس ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم موسى : إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإني قتلت نفعا لم أؤمر بقتلها ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى عيسى . فيأتون عيسى فيقولون : يا عيسى ، أنت رسول الله ، وكلمت الناس في المهدي ، وكلمة منه ألقاها إلى مريم ، وروح منه ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم عيسى : إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله - ولم يذكر له ذنباً - نفسي نفسي ، =

= وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : لا أتى رسول الله ﷺ بلحيم ، فزفج إليه اللراع - وكانت تُعجبه - فنهس منها نهمته ثم قال : أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون ثم ذلك ؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد ، فيسمعهم الداعي ، ويتخذهم البصر ، وتدنو الشمس فيبلغ الناس من النعم والكرب مالا يُعطون ومالا يحتلون . فيقول بعض الناس لبعض : ألا ترون ما أنتم فيه ألا ترون ما قد بلغكم ، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعض الناس لبعض : التوا آدم ، فيأتون آدم عليه السلام فيقولون : يا آدم أنت أبو البشر ، خلقتك الله يديه ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟ فيقول آدم : إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى خيري ، اذهبوا إلى نوح . فيأتون نوحا فيقولون : يا نوح ، أنت أول الرسل إلى الأرض ، ورسالك الله عينا شكورا ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم : إن ربي عز وجل قد غضب اليوم غضبا لم =

= دار لا زوال لها فانقلوا بخير ما بحضرتكم ، فإنه قد ذكر لنا أن الحجر يلقي من شفة جهنم فيهرى فيها سبعين عاماً لا يدرك لها قفراً ووالله لتتلاَّن أفعجتهم ، ولقد ذكر لنا أن ما بين مصرعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة ، وليأتين عليها يوم وهو كظيظ من الزحام^(١) .

وعن حكيم بن معاوية عن أبيه رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « أنتم توفون سبعين أمة أنتم آخرها وأكرمها على الله عز وجل وما بين مصرعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عامًا ، وليأتين عليه يوم وإنه لكظيظ^(٢) » .
وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة ولا فخر^(٣) » .

(١) أخرجه مسلم [٢٩٦٧/١٤] ، والترمذى [٢٥٧٥] ، وابن ماجه [٤١٥٦] ، وأحمد فى المسند [١٧٤/٤] .

(٢) رواه أحمد [٣/٥] ، وصححه الألبانى فى الصحيحة [١٦٩٨] .

(٣) رواه أبو نعيم [١٨٢] ، وأحمد [٢٤٨/٣] ينحوه عن أنس رضى الله تعالى عنه ، وقال الأرنؤوط إسناده صحيح على شرط

مسلم .

= اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى محمد ﷺ . فيأتونى فيقولون : يا محمد ، أنت رسول الله ، وخاتم الأنبياء ، وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فأنطلق ، فأتى تحت العرش فأتع ساجداً لربى عز وجل ، ثم يفتح الله على ويلهمنى من محامده وخسنى الثناء عليه شيئاً لم يفتح لأحد قبلى . ثم قال : يا محمد ، ارفع رأسك ، نزل ثعظه ، اشفع تشفع . فأرفع رأسى فأقول : يا رب أمتى أمتى ، فيقال : يا محمد ، أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصرعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وبغداد ، أو كما بين مكة وبغداد^(١) .

وعن خالد بن عمير العدوى رضى الله تعالى عنه قال : خطبنا حبة بن غزوان فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإن الدنيا قد أذنت بضرم وولت حذاء ، ولم يبق منها إلا ضيابة كضيابة الإناة وتصايبها صاحبها ، وإنكم متقلون منها إلى =

(١) أخرجه البخارى [٤٧١٢] ، ومسلم [٣٢٧/١٩٤] .

أول من يفرج باب مسجد

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : و يقول الخازن : بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك^(١) وذلك أن قيامه صلى الله عليه وعلى آله وسلم خاصة إظهار لزيته وزيته .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : و أنا أول من يفتح باب الجنة إلا أن امرأة يسلم فأتوني فأقول لها : مالك ومن أنت ؟ فتقول : أنا امرأة قدمت على بني^(٢) .

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : و أنا أكثر الأنبياء نبيا يوم القيامة ، وأنا أول من يفرج باب الجنة^(٣) .

○○○

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم [٣٣٣/١٩٧] .

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد [١١٢/٨] وقائ : رواه أبو يعلى وفيه عبد السلام بن عجلان وثقه أبو حاتم وابن حبان .

(٣) أخرجه مسلم [٣٣١/١٩٦] .

= عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : و تأخذ بحلقه باب الجنة فأفقهها^(١) . وعن عاصم بن لقيط أن لقيط بن عامر خرج وافقنا إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : و ... قلت : يا رسول الله فما الجنة والنار ؟ قال : لعمر إلهك إن للنار سبعة أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاما^(٢) .

○○○

(١) رواه أبو نعيم [١٨٣] ، والحميدي في مسنده [١٤٠٢] ،

والترمذي [٣١٤٨] من حديث أبي سعيد الخدري وانظر فتح الباري [٤٤١/١١] . وصححه الألباني في صحيح الترمذي [٢٥١٦] .

(٢) جزء من حديث رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل في المسند [١٣/٤] ، وابن أبي عاصم [٢٣٦] والمحاكم في المستدرک [٥١٤٠/٤] . وصححه الإسناد كلهم

مدينون ؟ ولم يخترجاه .

= من تلك الأبواب من ضرورة فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها.

قال : نعم .

و أرجو أن تكون منهم ^(١) .

قال ابن القيم : لما سمت همة الصديق إلى تكميل مراتب الإيمان ، وطمعت نفسه أن يدعى من تلك الأبواب كلها ، سأل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : هل يحصل ذلك لأحد من الناس ؟ ليسعى في العمل الذي ينال به ذلك . فخبره بحصوله وبشره بأنه من أهله . وكأنه قال : هل تكمل لأحد هذه المراتب فيدعى يوم القيامة من أبوابها كلها ؟ قلله ما أعلى هذه الهمة وأكبر هذه النفس !! .

قد سعى الله سبحانه وتعالى كبير هذه الخزنة : رضوان ، وهو اسم مشتق من الرضا ، وسمى خازن النار : مالكا ، وهو اسم مشتق من الملك وهو القوة والشدة حيث تصرفت حروفه .

○○○

(١) أخرجه البخاري [١٨٩٧] ، ومسلم [٨٦/١٠٢٧] .

بوابي الجنة وخزنتها واسم مقدمهم ورئيسهم

قال تعالى : ﴿ وَيَسِقُّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ ^(١) [الزمر: ٧٣] .

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتى باب الجنة يوم القيامة فأُستفتح فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد ، فيقول : بك أيرث لا أفتح لأحد قبلك » ^(٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه : « من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة » . فقال أبو بكر : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما على من دعى =

(١) والخزنة جنح خازن ، مثل حفظة وحافظ ، وهو المؤمن على الشيء الذي قد استخفي به .

(٢) أخرجه مسلم [١٩٧/٣٣٢] .

أنهار الجنة وعيونها

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ تَبَّتْ الْجَنَّةُ الْكَبِيرُ إِلَى مَوْجِدٍ أَلْمَسُونَ فِيهَا أَيْهَرُ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ عَائِينَ وَأَيْهَرُ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَيْهَرُ مِنْ حَرِّ لَذَّةِ النَّارِينِ وَأَيْهَرُ مِنْ هَاجِلٍ مُمْسِيٍّ وَلَمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمِنْ ثَمَرَاتِهِ مِنْ تَبَّتْ رَيْثِيمٌ ۖ ﴾ [سجدة : ١٦] .

فالجنة سبحانه وتعالى بطلعتنا هنا بأن أنهار الجنة مختلفة عن أنهار الدنيا فهو سبحانه يستخرج منها الصفة التي قد تعكر نهرتها ؛ فقد تقف مياه النهر وتصبح آسنة متغيرة ، فيقول سبحانه : ﴿ أَيْهَرُ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ عَائِينَ ۖ ﴾ .

إذن .. فهو سبحانه يعطيني اسماً موجوداً وهو النهر ، وكلنا نعرفه ، لكنه يخبرنا سبحانه أنه يستخرج منه الأكدار التي نراها في النهر الحادث في الحياة الدنيا ، وأيضاً فأنهار الدنيا تسير وتجري في شق بين شاطئين ، لكن أنهار الجنة سيجري الماء فيها وليس لها شواطئ تحجز الماء لأنها تجري بقدرة الله تعالى . وسيكون أيضاً في الجنة أنهاراً من لبن لم يتغير طعمه .

إن العربي كان يأخذ اللبن من الإبل ويخزنه في الثريب ،

وبعد ذلك ترحل الإبل بعيداً إلى المراعي وإلى حيث تسافر ، وعندما كان الأعرابي يحتاج إلى اللبن فلم يكن أمامه غير اللبن المخزن في الثريب ، ويحمله متغير الطعم لكن لا يجد غيره ؛ لذلك يوضح الحق سبحانه أن في الجنة أنهاراً : ﴿ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ۖ ﴾ .

ثم يقول سبحانه : ﴿ وَأَيْهَرُ مِنْ حَرِّ ۖ ﴾ وهم يعرفون الحمر ، ولنفهم أنها ليست كخمر الدنيا ؛ لأنه يقول : ﴿ تَبَّتْ ۖ ﴾ ، ولم يقل على الحقيقة .

وقوله : ﴿ لَذَّةِ النَّارِينِ ۖ ﴾ خمر الدنيا لا يشربها الناس بلذة ، بدليل أنك عندما ترى من يشرب كأس خمر ، فهو يسكبه في فمه مرة واحدة ! ليس كما تشرب أنت كوباً من مانجو وتلتذ به ، إنه يأخذُه دفعة واحدة ليقلل سرعة مروره على مذاقاته لأنه لا ذرع ؛ كما أن خمر الدنيا تقتال العقول وتفسدها . لكن خمر الآخرة لا اغتيال فيها للعقول ، وهي : ﴿ لَذَّةُ النَّارِينِ ۖ ﴾ .

إذن .. فحين يعطيني الحق سبحانه مثلاً للجنة ، فهو ينقي عن المثل الشوائب ، ولذلك تجد الأمثال تتنوع في هذا المجال ؛ فالعربي عندما كان يشرب في الهاجة ، ويحد مشجرة لا ينق

وليس لنور الله الذاتي ، قال سبحانه : ﴿لِلَّهِ نُورٌ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ يَكُونُ فِيهَا بِضَاعٌ الْمِصْبَاحِ فِي مُكَامٍ
الزَّيَاطَةِ كَأَنَّا كَوْنُ نُورٍ بِيَدِهِ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا
شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارُ نُورٍ
عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَفَضِيلُ اللَّهِ الْأَمَلُ لِلنَّاسِ

وَاللَّهُ يَكْلِي شِقَاقَ حَلِيمٍ [النور: ٣٥] .

إنه سبحانه يعطينا مثلاً مقرباً ، لأن لفناً ليس فيها الألفاظ
التي تؤدي المعنى الحقيقي ، لأنها لغة خاصة بالدنيا التي نعيش
فيها ، لا بالآخرة وما فيها .

ولذلك قال سبحانه وتعالى : ﴿وَأَصْدَقُكُمْ جَنَّاتُ تَجْرِي
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ .

وما دامت جنات فيها شجر ملف وعالي ، ونحن نعرف
أن الشجر لابد أن يكون في منطقة فيها مياه ؛ لذلك قال :
﴿تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ومرة يقول : ﴿تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٢٥] لأن ما يجري تحتها قد يكون
آتياً من مكان آخر ، ويكون منبها من مكان بعيد وتجري
الأنهار تحت جنتك ، وقد تظن أن بإمكان صاحب البيع أن

وهي التي يقال لها : ﴿سِدْرُ لَهَا﴾ كان يعتبرها واحدة يستريح
عندها ، ويجد عليها النبق الجميل ، فهو يجد يده يأكل منها ،
ولكنه قد يجد شوكاً فيتنادى هذا الشوك قدر استطاعته ،
وعندما لا يجد في هذا الشجر شوكاً يقول : هذا ﴿سِدْرٌ
مَحْضُورٌ﴾ أي مشجرة نبق لا شوك فيها .

وقوله سبحانه : ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصْقًى﴾ قد كان العرب
يأخذون العسل من الجبال ، والنحل يصنع خلاياه داخل
شقوق الجبال ، وعندما كانوا يخرجون العسل من الجبال
يجدون فيه رملًا وحصى ، وكان الله سبحانه يقول : إن ما
يمكر عليك العسل هنا في الدنيا ساصفيه لك هناك في الجنة .

ولسائل أن يسأل فيقول : ولماذا مثل ؟ نقول : لأنه مادام
نعيم الجنة وما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر ،^(١) فكون لغة البشر كلها لا تؤدي ما فيها ،
لكنه سبحانه يعطينا صورة مقربة ، ويضرب الله المثل بالصورة
المقربة للأشياء التي تتعالى عن الفهم ليقربها من العقل ، ومثال
ذلك عندما أراد سبحانه أن يعطينا صورة لتزوير الله للكون ،

(١) سبق تخريجه .

= ما هو المهور المتعارف ، وكذلك ما حكاه من قول فرعون :

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَتَاهُ خَبْرُ يَدِّكَ مِنْ مَّتَدِّ قَوْلِكَ ﴾ [الزخرف: ٥١] وقال تعالى :

﴿ فِيهِمَا عِثَارَانِ فَعَنَّاخَانِ ﴾ [الرحمن: ٦٦] عن سعيد قال :

نضاختان^(١) بالماء والنراكة .

وعن أنس قال : نضاختان بالمسك والعبير ، ينضخان على دور أهل الجنة ، كما ينضخ المطر على دور أهل الدنيا ، وعن البراء

قال : اللتان تجريان أفضل من النضاختين .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ مَثَلُ لَبَنَةٍ أَيْسَىٰ وَمِثْلَ نَبْءِ الثَّمَرِثِثِ فِيهَا أَتَتْهُ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ مَآيِينِ وَأَتَتْهُ مِنْ لَبَنٍ لَّا يَتَغَيَّرُ طَعْمُهُ وَأَتَتْهُ مِنْ حَمْرٍ لَّدُنَّ لَسَنَافِينَ وَأَتَتْهُ مِنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا مِنْ كُلِّ غَيَّرٍ مَّغْيِرَةٍ مِنْ دُهْنٍ ﴾ [سجد: ١٥] ، فذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة ونفى عن كل واحد منها الآلة التي تعرض له في الدنيا :

قاعة الماء : أن بأسن وبأجن من طول مكته .

وآلة اللبن : أن يتغير طعمه إلى الحموضة وأن يصير قارصا .

وآلة العسل : كراهة ملائها المائى للذة شربها .

(١) نضاختان : قولر تان .

يسلّه على جنتك ، فيطمئنك الحق سبحانه : أنها جاءت من تحتها مباشرة^(١) .

(١) قال ابن القيم : قد تكرر في القرآن في عدة مواضع قوله

تعالى : ﴿ جَنَّتْ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ [البقرة: ٢٥] .

وفي موضع : ﴿ تَبْجَرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ ﴾ [التوبة: ١٠٠] .

وفي موضع : ﴿ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِ الْأَنْهَارِ ﴾ [الكهف: ٣١] .

وهذا يدل على أمور :

أحدها : ووجود الأنهار فيها حقيقة .

الثاني : أنها جارية لا واقفة .

الثالث : أنها تحت غرفهم وقصورهم وبساتينهم كما هو المهور في أنهار الدنيا ، فإن أنهار الجنة وإن جرت في غير أخدود^(١) فهي تحت القصور والمنازل والغرف وتحت الأشجار وهو سبحانه لم يقل من تحت أرضها .

وقد أخبر سبحانه عن جريان الأنهار تحت الناس في الدنيا فقال : ﴿ هُوَ أَمْ يَرَاكُمْ أَتْلُوكُمْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَوْلٍ مَكْشُوفٍ فِي الْأَرْضِ مَا لَوْ لَمْ يَكُنْ لَكُمُ الْوَارِثَةُ السَّمَاءُ عَلَيْهِمْ يُدْرِكُهَا وَجَعُكُمُ الْأَنْهَارُ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهِمْ ﴾ [الأنعام: ٦] ، فهذا على =

(١) أخدود : حفرة مستطيلة في الأرض . والمقصود هنا مجرى النهر .

= وآلة العمل عدم تصفيته .

وهذا من آيات الرب تعالى أن تجرى أنهار من أجناس لم تجر المادة في الدنيا بأجزائها ويخرجها في غير محدود ، وينتهي عنها الآفات التي تمنع كمال اللذة بها ، كما ينفي عن خمر الجنة جميع آفات خمر الدنيا من الصمغ والعقول^(١) واللغو والإزواف^(٢) وعدم اللذة .

فهذه خمس آفات من آفات خمر الدنيا : تغال العقل ، ويكثر اللغو على شربها ، بل لا يطيب لشربها ذلك إلا باللغو ، وتترف في نفسها وتترف المال ، وتصعد الرأس وهي كربة المذاق ، وهي رجس من عمل الشيطان توقع المدارة والبقاء بين الناس وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وتدعو إلى الزنا وربما دعت إلى الوقوع على البنت أو الأخت وذوات الحرام وتذهب الغيرة وتورث الجور والندامة والفضيحة ، وتلحق شاربها بأنقص نوع الإنسان وهم الجانين ، وتسلبه أحسن الأسماء والسمات وتكسوه أقيح الأسماء والصفات ، =

(١) القول : الصمغ والشكر ، ونفسه البخاري بأنه وجع البطن .
(٢) الإزواف : ذهاب العقل أو السكر .

= وتسهل قتل النفس وإنشاء السر الذي في إفساده مضربه أو إهلاكه ، ومواخاة الشياطين في تبذير المال الذي جمعه الله قياما له ولم يلزمه مؤثته ، وتهلك الأستار وتظهر الأسرار ، وتدل على العورات ، وتهون ارتكاب القبائح والمآثم وتخرج من القلب تنظيم الحرام ، ومدمتها كعابد وثن^(١) ، وكم أهاجت من حرب ، وأقترت من غنى ، وأذلت من عزير ، ووضعت من شريف ، وسلبت من نعمة ، وجلبت من نعمة ، وفسخت مودة ، ونسجت عداوة ، وكم فرقت بين رجل وزوجه فذهبت بقلبه وراحت بقلبه ، وكم أورثت من حسرة وأجرت من عثرة ، وكم أغلقت في وجه شاربها بابا من

«

(١) إشارة لحديث رسول الله ﷺ و مدمن الخمر كعابد وثن «

رواه ابن ماجه [٢٢٧٥] من حديث أبي هريرة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير [٢٥٨١١] ، وحققه في صحيح ابن مساجه [٢٢٧٠] وروى أحمد عن ابن عباس [٢٢٧٧] ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مدمن الخمر إن مات لقي الله كعابد وثن » وقال عنه الألباني في الصحيحة [٢١٧٧] : فالحديث يجمع طرقه حسن أو صحيح والله أعلم أ.هـ .

= وتأمل اجتماع هذه الأنهار الأربعة التي هي أفضل أشربة الناس ؛

فهذا لشربهم وطهورهم ، وهذا لقوتهم وغذائهم ، وهذا

للذئهم وسرورهم ، وهذا لشفايتهم ومنفعتهم . والله أعلم .

وأخبار الجنة تنفجر من أعلاها ثم تنحدر نازلة إلى أقصى درجاتها

كما روى البخارى فى صحيحه من حديث أبى هريرة عن

النسب عليه السلام أنه قال : « إن فى الجنة مائة درجة أعدّها الله عز وجل

للمجاهدين فى سببه ، بين كل درجتين كما بين السماء

والأرض ، فإذا سألت الله فأسأله الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى

الجنة ، وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر أنهار الجنة » (١) .

وروى الترمذى نحوه من حديث معاذ بن جبل وعبادة بن

الصامت ، ولفظ حديث عبادة : « الجنة مائة درجة ، ما بين

كل درجتين مسيرة مائة عام ، والفردوس أعلاها درجة ، ومنها

الأنهار الأربعة والعرش فوقها ، فإن سألت الله فأسأله

الفردوس الأعلى » (٢) .

(١) أخرج البخارى [٢٧٩٠] ، وفى التوحيد [٧٤٢٣] بنحوه .

(٢) رواه الترمذى من حديث عبادة [٢٥٣١] ولفظه : « فى الجنة

مائة درجة ... » وصححه الألبانى فى الصحيحة [٩٧٢] ، وفى

صحيح الترمذى [٢٠٥٦] .

١١٣ ————— الجنة وعد الصلوات

= الخمر وفطحت له بابا من الشر ، وكم أوقعت فى بلية وعجلت

من منية ، وكم أورثت من خزية ، وجرت على شاربها من

محنة ، وجرت عليه من سفلة . فهى جماع الإثم ومفتاح

الشر وسلاية النعم وجالبة النقم .

ولو لم يكن من رذائلها إلا أنها لا تجتمع هى وخمر الجنة فى

جوف عبد لكفى كما ثبت عنه عليه السلام أنه قال : « من شرب

الخمر فى الدنيا لم يشربها فى الآخرة » (١) .

وأفادت الخمر أضعاف أضعاف ما ذكرناه وكلها متفية عن

خمر الجنة .

فإن قيل : فقد وصف سبحانه الأنهار بأنها جارية ومعلوم أن

الماء الجارى لا يأسن (٢) فما فائدة قوله : « غير يأسن » ؟

قيل الماء الجارى وإن كان لا يأسن فإنه إذا أخذ منه شىء وطال مكثه

أسن ، وماء الجنة لا يعرض له ذلك ولوطال مكثه ما طال . =

(١) رواه ابن ماجه [٣٣٧٤] وصححه الألبانى فى الصحيحة [٣٨٤]

وفى صحيح ابن ماجه [٢٧١٩] والحدِيث عند مسلم [٧٨/٢٠٠٢]

ولكن بزيادة « إلا أن يتوب »

(٢) يأسن : يتغير .

١١٢ ————— الجنة وعد الصلوات

= وفي صحيحه أيضًا من حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال :
وينا أنا أسير في الجنة ، إذا أنا بنهر حافاه قباب اللؤلؤ الجوف ،
قتلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذي أعطاك ربك ،
قال ففصرب الملك يده فإذا طينه مسك أدقر^(١) .

وفي صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ
قال : و الكوثر نهر في الجنة وعذبه ربي عز وجل^(٢) .
وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : و دخلت
الجنة فإذا بنهر يجري ، حافاه خيام اللؤلؤ ، ففصربت يدي إلى
ما يجري فيه من الماء فإذا أنا بجسك أدقر ، قلت : ما هذا يا
جبريل قال : هذا الكوثر الذي أعطاك الله عز وجل^(٣) .
وعن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : و الكوثر نهر
في الجنة ، حافاه من ذهب ، ومجره على الدر والياقوت ، تربته =

(١) أدقر : طيب وجيد للغاية .

(٢) أخرجه البخاري [٦٥٨١] .

(٣) جزء من حديث أخرجه مسلم [٥٢/٤٠٠] .

(٤) أخرجه البخاري [٦٥٨١] بنحوه من طريق قتادة عن أنس ،
ورواه أحمد في المسند [١١٥١٠٢/٣] من طريق حميد عن أنس .

= وفي صحيح البخاري من حديث أنس بن مالك أن رسول
الله ﷺ قال : و رفعت إلى سدرة المنتهى في السماء السابعة ،
بنيتها مثل قلال معج^(١) ، وورقها مثل آذان الفيلة ، يخرج من
ساقها نهران ظهران ، ونهران باطنان ، قتلت : يا جبريل ، ما
هذا ؟ قال : أما النهران الباطنان ففي الجنة ، وأما الظاهران
فالليل والنرات^(٢) .

(١) قلال مخبر : قلال جمع قلل وهي الجرة العظيمة ، ومخبر هنا هي
قرية قرية من المدينة بها صناعة القلال ، وهي غير مخبر البحرين .
(٢) قال الحفاظ بن حجر في فتح الباري [٢١٤/٧] قال الثوري : في
هذا الحديث إن أصل الليل والنرات من الجنة ، وأنهما
يخرجان من أصل سدرة المنتهى ثم يسيران حيث شاء الله ،
ثم ينزلان إلى الأرض ثم يسيران فيها ، ثم يخرجان منها ،
وهذا لا يمنعه العقل وقد شهد به ظاهر الخبر فليعتمد ، ثم قال
الحفاظ أيضًا : و والحاصل أن أصلها - يقصد سدرة المنتهى -
في الجنة وهما يخرجان أولاً من أصلها ثم يسيران إلى أن
يستقرا في الأرض ثم ينحان . واستدل به على فضيلة ماء النيل
والنرات لكون منبهما من الجنة .

(٣) أخرجه البخاري [٢٢٠٧٦] وفي مناقب الأنصار [٣٨٨٧] .

= بهذا اللفظ أيضًا الربيدي في تخريج الإحياء [٤٢٠١] إلى البيهقي في البعث والنشور وابن عساكر في التاريخ وينحوه عند الحاكم . وقد قسم الحافظ العراقي الحديث إلى ثلاثة أجزاء : ١ من سره ... الدنيا ٢ وقال عنه : رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن والنسائي بإسناد صحيح .

٣ أنهار الجنة ... المسك ٤ وقال عنه : رواه العقيلي في الضعفاء من حديث أبي هريرة ، وقال الربيدي في هذا الجزء ، رواه أبي حاتم وابن جبان والطبراني والحاكم وابن مردويه والبيهقي في البعث من حديث أبي هريرة ، ورواه ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن جبان في التفسر والبيهقي في البعث وصححه عن ابن مسعود .هـ .

قلت : قال البيهقي في ٥ البعث والنشور ٤ [٢٩٧] : هذا موقوف صحيح . وكذلك قال ابن القيم ، وكذلك قال ابن كثير في نهاية البداية والنهاية [٢٩١/٢] : وهذا الموقوف أصبح .هـ .

والجزء الثالث من الحديث : ٥ لو كان أدنى أهل الجنة حلية ... جميعًا ٤ فقال عنه الحافظ العراقي : رواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة بإسناد حسن .هـ .

= أطيب من المسك ، وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج ٤ (١) . وفي جامع الترمذي من حديث حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبي ﷺ قال : ٥ إن في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ، ثم تشقق الأنهار بعد ٤ (٢) قال هذا حديث حسن صحيح .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ٥ من سره أن يسقيه الله عز وجل من الخمر في الآخرة فليتركه في الدنيا ، ومن سره أن يكسبه الله الخمر في الآخرة فليتركه في الدنيا ، وأنهار الجنة تفجر من تحت ثلال أو تحت جبال للمسك ، ولو كان أدنى أهل الجنة حلية عُدَّت بحلية أهل الدنيا جميعًا لكان ما يحليه الله به في الآخرة أفضل من حلية أهل الدنيا جميعًا ٤ (٣) .

(١) رواه الترمذي [٣٣٩١] ، وابن ماجه [٤٣٣٤] ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه [٣٤٩٨] .

(٢) رواه الترمذي [٢٥٧١] ، وأحمد [٥/٥] وصححه الألباني في صحيح الجامع [٢١٢٢] وفي صحيح الترمذي [٣٠٧٨] .

(٣) عزاه ابن القيم للحاكم ، وكذلك عزاه ابن كثير للبيهقي والحاكم ٥ نهاية البداية والنهاية ٤ [٢٩٠/٢-٢٩٩] وعزاه =

= وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « سَيِّحَانٌ ^(١١) وَجَيِّحَانٌ ^(١٢) والفرات والنيل كل من

أنهار الجنة ^(١٣) .

وعن ابن عباس قال : « إن في الجنة نهرا يقال له السَّبْعُ عليه قَبَابٌ من بالقوت تحته جَنَارٌ ، يقول أهل الجنة : انطلقوا بنا إلى السَّبْعِ فيصعدون تلك الجوارى ، فإذا أصعب رجلا منهم جارية من ممسها فبِهِ ^(١٤) .

عيون الجنة وطيب نكهتها ومذاقها :

وأما الميرون فقد قال تعالى : ﴿ لَوْ يَرَى الْكَافِرِينَ فِي جَنَّاتٍ وَكُيُوتٍ ﴾ [الحجر: ٤٥] .

(١) سَيِّحَانٌ : نهر بأضنة وهي في تركيا حاليا .

(٢) جَيِّحَانٌ : نهر بالمصيصة وهي في تركيا حاليا .

(٣) أخرجه مسلم [٢٨٣٩/٢٦] .

(٤) عزاء الزبيدي في تخريج الإحياء [٤٢١٦] لابن أبي الدنيا في « صفة الجنة » . وكذلك رواه أبو نعيم في صفة الجنة .

[٣٢٤/٢ ١٧٣٢] وقال الخفّاق . إسناده موقوف جيد .هـ .
والسَّبْعُ في اللغة تعني : العظيم أو البادن المسحين .

= وعن عبد الله قال : « إن أنهار الجنة تفجر من جبل مسك ^(١) وهذا موقوف صحيح .

وعن مسروق في قوله تعالى : ﴿ وَكَأَنَّهُمْ شَتَكُونَهُ ﴾ [الواقعة: ٣١] قال : أنهار تجرى في غير أخدود ^(٢) .

= وقد تعقب الزبيدي الحافظ العراقي في تجرئة الحديث .
فاللدة : قال مسحق « صفة الجنة لأبي نعيم » عن إسناده المقتضى في حديث أبي هريرة : « أنهار الجنة تفجر من تلأل أو من تحت جبال مسك » : وهذا إسناده حسن .هـ . وكذلك جُود إسناده أبي نعيم [٣١٦/٢ ١٦٥] وهما مرفوعان لا موقوفان .

(١) سبق تخرجه .

(٢) رواه الطبري [١٠٥١٠٥٠/١٥١٧٠٥١٤/٣٨٦٠٣٨٤] طبعة دار المعارف بتحقيق أحمد شاكر ، وعزاه مسحق صفة الجنة لأبي نعيم إلى ابن أبي شبة وابن قتيبة في غريب الحديث ، والزهد لابن المبارك والطبري ، وصحح إسناده عند أبي نعيم [٣١٦/٢ ١٦٧] ونظله : « أنهار الجنة تجرى في غير أخدود ، وشرها كالقلال ، كلما أبيضت ثمره عادت مكانها أخرى ، والمعقود الثنا عشر ذراعاً ، ولكنه عن أبي عبيدة عن مسروق وهو تابعي جليل .

= اخلصوا الأعمال كلها لله فاخلص شرابهم ، وهؤلاء مزحجون

فمزحج شرابهم ، ونظير هذا قوله تعالى : ﴿ هَإِنِ الْآبِرَارُ لَبِئْسَ عَمَلًا ﴾^(١)
 عَلَى الْآبَارِكِ يُظَاهَرُونَ ﴿ تَوَثَّى فِي وَجْهِهِمْ نَصْرَةُ الْقَيْمِ ﴾^(٢) يُسْعَوْنَ
 مِنْ رَحِيْقٍ مَّخْتَوٍ ﴿ جَنَّتُمْ بِسَنَكُمْ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ
 الْمُسْتَفْسِرُونَ ﴾^(٣) وَمَرَامُهُمْ مِنْ تَنْبِيْهِ ﴿ جِنَّا يَتَرْتَّبُ يَا
 الْمُرْتَوُونَ ﴾^(٤) ﴿ وَالْمُتَنَبِّئِينَ ﴾^(٥)

فأخير سبحانه عن مزاح شرابهم بشيعين بالكافور في أول
 السورة والرتجيل في آخرها ، فإن في الكافور من البرد وطيب
 الرائحة ، وفي الرتجيل من الحرارة وطيب الرائحة ، ما يُخفِّدُ
 لهم باجماع الشرابين ومحيي أحدهما على إثر الآخر حاله
 أخرى أكمل وأطيب وألذ من كل منهما. بالفراة ، ويعدل
 كيفية كل منهما بكيفية الآخر . وما أطف موقع ذكر الكافور
 في أول السورة والرتجيل في آخرها فإن شرابهم مزحج أولاً
 بالكافور وفيه من البرد ما يحيي الرتجيل بعلمه فيعده .
 والظاهر أن الكأس الثانية غير الأولى وأنهما نوعان للذيان من

الشراب :

أحدهما : مزحج بالكافور :
 والثاني : مزحج بورتجيل .

= وقال الحق تعالى : ﴿ هَإِنِ الْآبِرَارُ يَتَرَبَّوْنَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ
 مِرَاجُهَا كَافُورًا ﴾^(١) جِنَّا يَتَرْتَّبُ يَا عِبَادَ اللَّهِ بِمَجْرُودِيهَا
 تَقِيْمُكَ^(٢) ﴿ [الإنسان] .

وقد اختلف في قوله : ﴿ يَتَرْتَّبُ يَا ﴾ . فقال الكوفيون الباء
 بمعنى من ، أي يشرب منها . وقال آخرون : بل معنى يشرب
 بها أي يورى بها فلما ضُمَّتْهُ^(١) معناه عداه تعديته وهذا أصبح
 وألطف وأبلغ .

وقالت طائفة : الباء للظرفية والعين اسم للمكان كما تقول كنا
 بـمكان كذا وكذا . ونظير هذا التضمين قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ
 يُزِدْ فِيهِ يُولَاسِكَا يُظَاهِرْ ﴾ [المرح : ٢٥] ضَمَّنَ معنى يَهُمُّ
 تَعْدَى تعديته .

وقال تعالى : ﴿ وَتَسْتَوْنَ فِيهَا كَمَا كَانَتْ رِجَالُهَا زَجْجِيلًا ﴾^(٣) جِنَّا
 فِيهَا شَمْنٌ سَلِيلًا^(٤) . فأخير سبحانه عن العين التي يشرب
 بها المقربون صراحة أن شراب الأبرار يمزج منها لأن أولئك =

(١) ضَمَّنَهُ : جملة متضمنة . والمقصود أن الفعل ﴿ يَتَرْتَّبُ ﴾ لا
 اشتمل على معنى الزوى تعدى بالباء كما تعدى فعل روى
 بالباء فيقال روى بالبن أو الماء .

= فَصَّنَ لَهُ أَنْ لَا يَصِيْبه ذَٰلِكَ الْبَاطِنُ بِالْجَمْعِ وَلَا ذُلُّ الظَّاهِرِ

بِالْعَرَى وَأَنْ لَا يَنَالَهُ حَرُّ الْبَاطِنِ بِالظُّلْمِ وَلَا حَرُّ الظَّاهِرِ بِالْعُشْحَى .

ونظير هذا ما عدده على عباده من نعمه أنه أنزل عليهم لباسًا

يواري سراتهم ويخفي ظواهرهم ، ولباسًا آخر يزين لهم

بواطنهم وقلوبهم ، وهو لباس التقوى وأخبر أنه خير للباسين^(١) .

وقريب من هذا إخباره أنه زين السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظًا

من كل شيطان مارد فزين ظواهرها بالنجوم وباطنها بالحرامسة .

وقريب منه أمره من أراد الخلق بالزاد الظاهر ثم أخبر أن خير

الزاد الزاد الباطن وهو التقوى .

وقريب منه قول امرأة العزيز عن يوسف ﴿ فَذَا لَكِنَّ الَّذِي لُتْنِيْهِ

فِيْهِ ﴾ [يوسف : ٢٢] . فارتحن حسنه وجماله ثم قالت : ﴿ وَلَقَدْ

رَوَدْتُهُ عَنْ نَّفْسِيْهِ فَاَتَمَّتْهُمْ ﴾ [يوسف : ٢٢] . فأخبرت عن جمال

بطلانه وزينه بالهفة وهذا كثير في القرآن لمثاله .

• صحيح حادى الأرواح [ص : ١٦٢ : ١٧١] .

○○○

(١) إشارة لقوله تعالى : ﴿ وَبَنِيَّ ءَادَمَ تَدَٰرَكًا عَلَيَّكُمْ لِيَّاسًا يُؤَيَّزِي

سُوْرَتَكُمْ وَيُرِيْطًا وَيَلْبَسُ الْقَتَوِيَّ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الأعراف : ٢٦] .

= وَأَيْضًا فَإِنَّهُ سَبَّحَانَهُ أَخْبَرَ عَنْ مَرَجِ شَرَابِهِمْ بِالْكَافُورِ وَبَرَدِهِ فِي

مُقَابِلَةٍ مَا وَصَفَهُمْ بِهِ مِنْ حَرَارَةِ الْخُفُوفِ وَالْإِثَارِ وَالصَّبْرِ وَالْوَفَاءِ

بِجَمِيعِ الرَّوَاجِبَاتِ الَّتِي نَبِهَ عَلَى وَفَائِهِمْ بِأَضْمُقِهَا وَهُوَ مَا أَوْجَبَهُ

عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِاللَّذْرِ ، عَلَى الْوَفَاءِ بِأَعْلَاهَا وَهُوَ مَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ،

وَلِهَذَا قَالَ : ﴿ تَبَيَّنَتْهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةٌ وَحَرِيرٌ ﴾ [الإنسان : ١٢]

فإن في الصبر من المخلشونة وحسن النفس عن شهواتها ما

اقتضى أن يكون في جزائهم من سعة الجنة ونعومة الطير ما

يقابل ذلك الجبس والمخلشونة . وجمع لهم بين النصفرة والسرور

وهذا جمال ظواهرهم وهذا حال بواطنهم كما جعلا في

الدنيا ظواهرهم بشرائع الإسلام وبواطنهم بحقائق الإيمان .

ونظيره قوله في آخر السورة : ﴿ عَلِيمٌ ثَابِتٌ مُّسْتَبِيحٌ

وَلَا يَمُرُّكَ وَعْظٌ أَكْثَرُ مِنْ فَصْرٍ ﴾ فهذه زينة الظاهر ، ثم

قال : ﴿ وَسَقَّيْنَاهُمْ دَرَّةً مَّكَرَرًا مَّهْمَرًا ﴾ [الإنسان : ٢١] فهذه

زينة الباطن المظهر لهم من كل أذى وقص .

نظيره قوله تعالى لا يهيم آدم عليه السلام : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجِيعَ فِيهَا

وَلَا تَمُوتَ ۖ ۞ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَقُ ۖ ۞ ﴾^(١) [طه] .

(١) لا تفسح : لا يسهلك الضمخى وهو حر الشمس .

أشجار الجنة وظلالها

قول الحق سبحانه : ﴿ وَتَجْنِبُهُمْ ظِلًّا طِيلًا ﴾ [النساء: ٥٧] .
 لغة العرب إذا أردت أن تؤكد معنى نفى تأتي بالتوكيد من اللفظ نفسه ، فيقول العربي مثلاً : « هذا ليل أيل » أى ليل حالك ، وعندما يبالغ فى « الظل » يقول : « ظليل » . وما هو « الظل » ؟ « الظل » هو : انحسار الشمس عن مكان كانت فيه ، أو لم تدخله الشمس أصلاً ، كأن يكون الإنسان داخل كهف أو غار مثلاً .

إن كلمة « ظل ظليل » يعرفها الذين يعيشون فى الصحراء ، فساعة يرى الإنسان شجرة فهو يجلس تحتها ويتمتع بظلها ، والظل نفسه قد يكون ظليلاً ، مثال ذلك : « الحيام المكيفة » التى يصنعونها الآن ، وتكون من طبقتين : الطبقة الأولى : تتعرض للشمس فتحمل السخونة ، والطبقة الثانية تحجز السخونة ، ويسمون هذا السقف و السقف المزدوج .
 ولوجود خاصية فى الأماكن العالية ؛ لأن المسكن الذى تعلوه أذوار يكون محمى ، لكن المسكن الموجود فى آخر دور خصوصاً فى البلاد الحارة تكون السخونة فيه ضعبة وشديدة ؛

فى ظل .

لذلك يصنعون سقفًا فوق السقف ، حتى يكون الظل نفسه ولذا الإنسان يسمد بالظل تحت شجرة أكثر من سعادته بالظل فى جدار ؟ لأن الظل فى جدار مكون من طبقة واحدة ، صحيح أنه يمنع عنا الشمس لكنه أيضاً يحجب الهواء ، لكن الجلوس فى ظل الشجرة يتميز بأن كل ورقة من أوراق الشجرة فوقها ورقة ، وأوراقها بعضها فوق بعض ، وكل ورقة فى ظل الورقة الأعلى . ولأن كل ورقة خفيفة لذلك يداعبها الهواء ، فتحجب عن الجالس تحت الشجرة حرارة الشمس ، وتنطيه الهواء ، هذا هو معنى : ﴿ ظِلًّا طِيلًا ﴾ .

ولذلك فعندما أراد الشاعر أن يعصف دوحه فى وادٍ قال :
 وقانا لفحة الرمضاء وادٍ سقاء مضاعف الغيث العميم
 نزلنا دوحه فحنا علينا حنو المروضات على الفطيم
 وأرشفنا على ظمأ زلالا ألد من المدامة للنديم
 يصد الشمس آتى واجهتنا فيحبها ويأذن للنسيم
 والشاعر هنا يصف الموقف حين يسير الإنسان فى صحراء ثم

= من عود رطب خضد بمعنى مخضود كثيف رسلب ،
والخضاد شجر رخوا لا شوك فيه .

الحجة الثانية : عن جبهة بن عبد السلمي قال : و كنت جالسا
مع رسول الله ﷺ فجاء أعرابي فقال : يا رسول الله أسمك
تذكر في الجنة شجرة لا أعلم شجرة أكثر شوكا منها - يعني
الطلح - فقال رسول الله ﷺ : و إن الله جعل مكان كل
شوك منها ثمرة مثل خصرة التيس ^(١) الملبود ^(٢) فيها سبعون
لوزا من الطعام لا يشبه لوز آخر ^(٣)

الملبود : الذي قد اجتمع شوكه بعضه على بعض .
وعن سليم بن عامر قال : و كان أصحاب رسول الله ﷺ =

- (١) التيس : ذكر الطياء والوعول والماعز .
(٢) الملبود : الكثير اللحم الذي لزم بعضه بعضا قليد .
(٣) رواه ابن أبي داود في البيت والنشور [٦٩ ص : ٩٧] ورواه
أيضا أبو نعيم في صفة الجنة [٣٤٧ ٣٤٨/٣] وقال
الهيثي في مجمع الزوائد [٤١٤/١] رواه الطبراني ورواه
رجال الصحيح أ. هـ . وقد صححه الخريزي في تحقيقه للبيت
والنشور لابن أبي داود ، كما صححه أيضا محقق صفة الجنة
لأبي نعيم .

ينزل في واد به دوح وهذا الدوح يحنو على الإنسان حنو الأم
على طفلها في سن النظام . وأنه قد سقاها من مائه ما يلد .
وقصد الشمس عنهم الأشجار الكثيفة ، والنسيم يمر بين أوراق
الشجر . وهكذا نفهم أن كلمة : و ظل ظليل ، أي : أن الظل في
ذاته مظل ^(١) .

(١) قال ابن القيم : قال الله تعالى : ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ
الْيَمِينِ ﴾ في يمينهم نخسود ﴿ وَكُلٌّ مَخْشُودٌ ﴾ وظل مخدود ﴿
وَمَأْوَاهُمْ مَسْكُونٌ ﴾ وَلَكُمْ هَاهُنَا كَثِيرٌ ﴿ لَا مَقْطُوعَةٌ وَلَا
مَمْنُوعَةٌ ﴾ [الواقعة] .

وقال تعالى : ﴿ ذُرِّيَّتًا أَفْنَانًا ﴾ [الرحمن : ٤٨] وهو جمع
فان وهو النضن .

وقال : ﴿ فِيهَا نَكَبَةٌ وَظِلٌّ رِشْقَانٌ ﴾ [الرحمن : ٦٨] .
والخضود : الذي قد خضد شوكه أي بُرع وقُطِع فلا شوك فيه ،
هذا قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل وقاعدة ، واحتج هؤلاء
بـحجتي :

إحدهما : أن الخضد في اللغة القطيع وكل رطب قصبته فقد
خضدته ، وخضدت الشجر إذا قطعت شوكه فهو خضيد
ومخضود ، ومنه الخضد على مثال الثمر وهو كل ما قُطِع =

= عنه شوك ولا أذى فيه ، فسره بلازم المعنى .

معنى قوله تعالى : ﴿ وَكَلِّجْ مَنَشُور ﴾ [الزامة : ٢٩] .
وأما الطاليج فأكبر المفسرين قالوا : إنه شجرة الموز .

قال مجاهد : أعجبهم طنج ^(١) وحنثته قبل لهم :
﴿ وَكَلِّجْ مَنَشُور ﴾ وهذا قول علي بن أبي طالب رضى الله
تعالى عنه وابن عباس وأبى هريرة وأبى سعيد الخدرى .

وقالت طائفة أخرى : بل هو شجر عظام طولك وهو شجر
البرادى الكثير الشوك عند العرب . ولهذا الشجر ثور ^(٢)
وراحة وظل ظليل ، وقد نُقِدَ بالحمل والنس مكان الشوك .
وقال ابن قتيبة : هو الذى نُقِدَ بالحمل أو بالورق والحمل من
أوله إلى آخره فليس له ساق بارز ^(٣) .

وقال مسروق : ورق الجنة نضيد ^(٤) من أسفلها إلى أعلاها =

(١) وَجَح : واد بقرب الطائف ، وكان به شجر كثيف .

(٢) ثور : زهر أيضا .

(٣) بارز : ظاهر ، والمقصود أن ساق هذا الشجر قد غطت تماما

بالورق والشعر .

(٤) نضيد : بعضه فوق بعض .

= يتولون : إن الله لينفعا بالأحراب ومساكنهم . أقبل أعرابي يومنا

نقال : يا رسول الله ذكر الله في الجنة شجرة مؤذبة وما كنت
أرى في الجنة شجرة تؤذى صاحبها . قال رسول الله ﷺ :

« وما هي ؟ » قال : السدر ^(١) فإن له شوكا مؤذنا ، قال :
أليس الله يقول : ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْمُورٍ ﴾ ؟ خَصَّدَ الله شوكه
فجعل مكان كل شوكية ثمرة ^(٢) .

وقالت طائفة : الخضود هو الموز حملا ، وأربابه ذهبوا إلى أن
الله سبحانه وتعالى لما خَصَّدَ شوكه وأذهب وجعل مكان كل
شوكية ثمرة أوقرت بالحمل .

والحديثان المذكوران يجمعان القولين .

وكذلك قول من قال : « الخضود لا يعقر ^(٣) اليد ولا يرد اليد =

(١) السدر : شجر البقي :

(٢) رواه نعيم بن حماد في زيادته على « الزهد » لابن المبارك

[٢٦٣ ص : ٢٧٤] وقال الحافظ المنذرى في الترغيب والترهيب

[٧٧/٤ ٩٧٨/٢٩٧٩] : رواه ابن أبي الدنيا وأسناده حسن .

وعزه الزبيدي في تخريج الإجماع [٤٢٠٣] إلى الحاكم في
المستدرک وصححه والبيهقي في البعث : « لا يرد اليد »

(٣) يعقر : يجرح .

= و إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ،

فأقرأوا إن شئتم ﴿ وَتِلْكَ مَثَلٌ لِّمَا هُنَّ ۖ ﴾ [الواقعة: ٢٣٠] .

وفي الصحيحين أيضا من حديث أبي حازم عن سهل بن سعد عن رسول الله ﷺ قال : « إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها » قال أبو حازم : فحدثنا به النعمان ابن أبي عياش الزرقى فقال : حدثني أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال : « إن في الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد المضطر^(٢) السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها »^(٣) .

وعن ابن عباس قال : « الظل الممدود شجرة في الجنة على ساق قدر ما يسير الراكب المجد في ظلها مائة عام في كل نواحيها ، فيخرج إليها أهل الجنة : أهل الغرف وغيرهم =

(١) أخرجه البخاري [٤٨٨١] واللفظ له ، ومسلم [٦/٢٨٢٦]

بحرّه .

(٢) الجراد المضطر : الفرس الناقص السرعة الذي قلل علفه تدريجيا

ليشبع جريه .

(٣) أخرجه البخاري [٦٥٥٢، ٦٥٥٣، ١١/٤٢٣، ٤٢٤] ومسلم [٦/٢٨٢٦]

= وأنهارها تجري من غير أنحدود .

وقال الليث : الطلح شجر أم غيلان^(١) لها^(٢) شوك أحجن ، من أعظم البصاة^(٣) شوكا وأصلبه عودا وأجوده صمغا . قال أبو إسحاق : يجوز أن يعني به شجر أم غيلان لأن له ثورا طيب الرائحة جدا ، فوعدوا بما يعجبون مثله ، إلا أن فضله على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على سائر ما في الدنيا فإنه ليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأسامي .

والظاهر أن من فسر الطلح المنضود بالوز إنما أراد التمثيل به لحسن نضده وإلا فالطلع في اللغة هو الشجر العظيم من شجر البوادي . والله أعلم .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ =

(١) أم غيلان : هي شجرة الشتر وهي من أطول الأشجار وأكثرها ورقا وأعظمها خضرة ولها ظل عظيم ومن أفضل الشجر صمغا ولا تنبت إلا بأرض خصبة .

(٢) في الأصل وليس له ، وما أثبت هنا من لسان العرب نقلا عن الليث و لسان العرب [٢/٦٨٦، ٤] وبه يستقيم السياق .

(٣) البصاة : شجر الشوك وقيل ما عظم منه .

= ﴿ فَلَا تَقْلَمُ ثَمَرَهُمَا أُخْفَى ﴾ لَمْ يَنْ ثَمَرُهُمَا أُخْفَى جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ^(١١) [السجدة : ١٧] .

وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ،
أولوا إن شئتم ﴿ وَظِلُّهَا تَشْتَتَم ﴾ وموضع سوط ^(١٢) من الجنة خير
من الدنيا وما فيها ، أولوا إن شئتم : ﴿ هَلْ كُنْتَ تُخْرِجُ عَيْنَ
الْكَافِرِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ كَاذَبَ ﴾ ^(١٣) وآل عمران : ١٨٥ .
وعن أبي سعيد الخدري : « أن رجلاً قال : يا رسول الله طوبى
لمن رآك وآمن بك ، فقال : طوبى لمن رآني وآمن بي ثم طوبى ثم
طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يبرني ، فقال رجل : يا رسول
الله وما طوبى ؟ قال : شجرة في الجنة مسيرة مائة عام ثيابها

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري في بدء المطلق [٣٢٤٤] ،

ومسلم في الجنة [٤٨٣٧/٢٨٨٤] .

(٢) موضع سوط : قلدر سوط : أي الموضع الذي يسع السوط من
الجنة .

(٣) رواه الترمذي [٣٢٩٢] ، بتمامه ، وحقن الألباني إسناده في

الصحيحة [١٩٧٨] . وصحيح الترمذي [٣٢٩٤] .
١٣٣

= يتحدثون في ظلها ، قال فيشئني بعضهم وبذكر لهم الدنيا
فيرسل الله ريحاً من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهم كان في
الدنيا ^(١) .

وفي جامع الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه
قال : قال رسول الله ﷺ : « ما في الجنة شجرة إلا وساقها
من ذهب » ^(٢) . قال : هذا حديث حسن .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله
ﷺ : « يقول الله : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا
أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، أقرأ إن شئتم =

(١) قال المنذرى في الترغيب والترهيب [٢٩١٦/٤] : رواه ابن

أبي الدنيا موقوفاً من طريق زمة بن صالح عن سلمة بن وهرام
وقد صححها ابن خزيمة والحاكم وحسنها الترمذي .هـ . وعزاه
ابن كثير في تفسيره [٢/٨٦] لابن أبي حاتم ثم قال : هذا أثر
غريب . وإسناده جيد قوى حسن .هـ . وعزاه الزبيدي في
تخريج الإحياء [٤٢٠٦] لابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٢) رواه الترمذي [٢٧٥٢] ، وصححه الألباني في صحيح الجامع
الصغير [٥١٤٧] ، وفي صحيح الترمذي [٢٧٤٩] .

= وعن عامر بن زيد البكالي أنه سمع عتبة بن عبد السلمي يقول:
« جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فسأله عن الخوض وذكر الجنة ثم قال الأعرابي: فيها فاكهة؟ قال: « نعم » ، وفيها شجرة تدعى طوبى ، فذكر شيئاً لا أدري ما هو ، فقال أى شجرة أرضنا تشبهه؟ قال ليست تشبه شيئاً من شجر أرضك ، فقال النبي ﷺ:
« أثبت الشام؟ » قال: لا . قال: تشبه شجرة بالشام تدعى الجزرة ، تنبت على ساق واحدة وينفروش أعلاها . قال : ما عظم =

= حبيب الرحمن الأعظمي - في الهامش : وفي ذلك عن ابن عباس .هـ . وعزاه ابن كثير في تفسيره [٤٨٢/٧] لابن أبي حاتم عن ابن عباس بسياق مختصر عن هذا ، وذكره المنذرى في الترغيب والترهيب [٦٦/٤١٧، ٩٧٦] ثم قال : رواه ابن أبي الدنيا موفقاً بإسناد جيد ، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .هـ .

وقال الأرنؤوط في تنقيته حتى شرح السنة للبغوي [٤٢٨٤/١٥٤٢٦١]:

إسناده قوى .

وكذلك وافق محقق و صفة الجنة ، حكم الحاكم والذهبي بأنه على شرط مسلم و صفة الجنة [٢٤٦/٣٤٠٦] .

= أهل الجنة تخرج من أكمامها (١) ، (٢) .

وعن ابن عباس قال : « نخل الجنة جذوعها من زمرد أخضر ، وكربها (٣) ذهب أحمر وبنفها (٤) كسوة لأهل الجنة منها منقطعاتهم (٥) وحللهم ، وثمرها أمثال القلال والدلاء (٦) ، أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ، ليس فيها عَجَج (٧) ، (٨) .

(١) أكمامها : أغلافها وهي التي تغطي زهورها ، وبراعمها .

(٢) رواه أحمد [٣١/٣١٧] ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد [١٠٧/٣١٧] : رواه أحمد وأبو يعلى .هـ . وعزاه ابن القيم في

الحادي [ص: ١٩٩] لابن أبي الدنيا وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير [٣٩١٨/٣٢٩] . وحسنه الأرنؤوط في المسند لغيره .

(٣) كربها : الكَرِب هو أصول سفل النخل وورقه إذا نيس وجف .

(٤) سنفها : هو جريد النخل وورقه إذا نيس وجف .

(٥) منقطعاتهم : جمع مُنْقَطِعَات وهي الثوب القصير ، أو برود عليها وشى .

(٦) الدلاء : جمع دلو . (٧) عَجَج : نوى .

(٨) رواه المروزي في زيادته على الزهد لابن المبارك [١٤٨٨/١٤٨] : [ص: ٥٢٣] ، عن سعيد بن جبير مقطوعاً ، وقال الخفيف =

= وعن أسماء بنت أبي بكر قالت : وسمعت رسول الله ﷺ ، وذكر سدرة المنتهى فقال : يسير الراكب في ظل القنن^(١) منها مائة سنة ، أو قال : يستظل في القنن منها مائة راكب ، فيها قوائم الذهب كأن ثمرها القلال^(٢) .

وعن مجاهد قال : و أرض الجنة من ورق^(٣) وترابها مسك ، وأصول أشجارها ذهب وورق ، وأفنانها^(٤) لؤلؤ وزبرجد وباقوت ، والورق والشر تحت ذلك ، فمن أكل قائما لم = ولم يورقه . وبقية رجاله ثقات اهـ .

وانظر صفة الجنة لأبي نعيم [٣٤٦/٣ ، ١٩٢ ، ١٩٣] ونقل الخلق تصحيح القرطبي له في التذكرة . وقال الأرنؤوط في المسند إسناده قابل للتحسين .

(١) القنن : العُصن

(٢) رواه الترمذى [٢٥٤١] وقال : هذا حديث حسن غريب اهـ . وعزاه ابن القيم لأبي يعلى في مسنده . وقال الأرنؤوط في جامع الأصول [٥٠٢/١٠] وهو حديث حسن اهـ . وضعفه الألبانى في ضعيف الترمذى [٤٥٨] .

(٣) ورق : فضة .

(٤) أفنانها : أعضانها .

= أصلها ؟ قال : و لو ارتحلت جذعة^(١) من إبل أهلك ما أحاطت بأصلها حتى تنكسر ترقوتها هربا^(٢) . قال : فيها عنب ؟ قال : نعم . قال : فما عظم العقود ؟ قال : مسيرة شهر للغراب لا يقع ولا يفتقر . قال : فما عظم الجبة ؟ قال : هل ذبيح أبوك تيسا من غنمه قط عطيما ؟ قال : نعم ، قال : فسلخ إهابه^(٣) فأعطاه أمك وقال لها : اتخذى لنا منه دلوا ؟ قال : نعم ، قال الأعرجي : فإن تلك الجبة لشيعني أنا وأهل بيتي ، قال : نعم وعامة عشيرتك^(٤) .

(١) جذعة : الناقة التي بلغت أربعة أعوام .

(٢) تنكسر ترقوتها هربا : المقصود تبلغ أقصى عمرها عند إحاطتها بأصل الشجرة .

(٣) إهابه : جلده .

(٤) رواه أحمد [١٨٤، ١٨٣/٤] ، وابن حبان [٢٦٢٧، ٢٦٢٦] و موارد الظمآن ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد [٤١٣/١٠] بعد أن ساق لفظا مطولا : رواه الطبراني في الأوسط واللفظ له ، وفي الكبير وأحمد باختصار عنهما وفيه عامر بن زيد البكالي وقد ذكره ابن أبي حاتم ولم يخرج به =

۱۰۲

قال الله تعالى : ﴿ كَلِمَاتٌ نُّزِيلًا مِنْهَا مِنْ تُحْمَرُ زُرُقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي نُّزِفْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُزِلَ بِهِ مُسَمِّيًا ۖ ﴾ [البقرة: ٢٥٠] ،

نمر الجنة يختلف عن نمر الدنيا ، إنك في الدنيا لابد أن تذهب إلى الثمرة وتأتي بها أو يأتيك غيرك بها ، ولكن في الجنة النمر هو الذي يأتي إليك ، بمجرد أن تشتهيته تجده في يدك ، ولا تعتقد أن هناك تقاطيع بين نمر الدنيا ونمر الجنة ، ولكن النمر في الجنة ليس كنمر الدنيا لا في طعمه ولا في رائحته ، وعندما يرى أهل الجنة ثمرها ، يقولون ربما تكون هذه الثمرة هي ثمرة المانجو أو التين الذي أكلناه في الدنيا ، ولكنها في الحقيقة تختلف تماماً ، قد يكون الشكل متشابهاً ولكن الطعم شيء مختلف .

في الدنيا كل طعام له فضلات يخرجها الإنسان ، ولكن في الآخرة لا يوجد لطعامها فضلات ، بل إن الإنسان يأكل كما يشاء دون أن يحتاج لإخراج فضلات ، وقد يكون ذلك لا اختلاف ثمار الدنيا عن الآخرة في التكوين .

= يُوْذِهٖ ، وَمِنْ أَكْلِ جَالِسَاتِهِمْ يُوْذِهٖ ، وَمِنْ أَكْلِ مُصْطَفِيَّاتِهِمْ يُوْذِهٖ
وَذَلِكَ طَعْمُهُمْ تَذِيلًا ﴿٦﴾ .

وعن جرير بن عبد الله قال : « تركنا الصفايح فإذا رجل نائم تحت شجرة قد كادت الشمس أن تبلغه ، قال فقلت للعلاء : انطلق بهذا النظم ^(١) فائجله . قال : فانطلق فائجله ، فلما استيقظ إذا هو سلمان فأتيته أسلم عليه ، فقال : يا جرير تواضع لله فإن من تواضع لله رفعه الله يوم القيامة . يا جرير هل تدري ما الظلمات يوم القيامة ؟ قلت : لا أدري ، قال : ظلم الناس بينهم ثم أخذ جويئنا ^(٢) لا أكاد أراه بين أصبعيه فقال : يا جرير إذا طلبت مثل هذا في الجنة لم تجده ، قلت : يا عبد الله فأين النخل والشجر ؟ قال : أصولها اللؤلؤ والذهب وأعالها الثمر ^(٣) . »

مسحح حادى الأرواح [ص ١٤٨ : ١٥٥].

(١) التطلع : بفتح النون أو كسرهما : بساط من الجبلد .

(۲) غوثیہ : قصیر عود .

(٣) قال النذرى في الترخيب والترهيب [٩٧٠/٤٦٠] رواه البيهقي بإسناد حسن. ا.هـ.

= نزلت ثمرة عادت مكانها أخرى^(١) .
 الحجة الثالثة : قوله : ﴿ وَآتُوا بِهِ مَثْنَيْهَا ﴾ وهذا كالتعليق
 والسبب الموجب لقولهم^(٢) هذا الذي رزقنا من قبل .
 الحجة الرابعة : أن من المعلوم أنه ليس كل ما في الجنة من
 الثمار قد رزقوه في الدنيا ، وكثير من أهلها لا يعرفون ثمار
 الدنيا ولا رؤوها .

وأما قوله عز وجل : ﴿ وَآتُوا بِهِ مَثْنَيْهَا ﴾ قال الحسن :
 (١) رواه الطبري [٥٠٥٠٩، ٥١٠٥١، ٥١٧، ٣٨٤/١] ٣٨٤، ٣٨٤/١

وطبعة دار المعارف بتحقيق أحمد شاكر ، وعزاه محقق
 و صفة الجنة لأبي نعيم ، إلى ابن أبي شيبة وابن قتيبة في
 و غريب الحديث ، والزهد لابن المبارك والطبري ، وصحيح
 إسناده عند أبي نعيم [٣١٥/١٦٧] . ولفظه : وأنهار الجنة
 تجري في غير أخدود ، ونهرها كالقلال ، كلما أخذت ثمرة
 عادت مكانها أخرى ، والعنود اثنا عشر ذراعاً ، ولكنه عن
 أبي عبيدة عن مسروق وهو تابعي جليل .
 (٢) أي أن الله سبحانه وتعالى ذكر مجيء الثمار إليهم في الجنة
 متشابهة وأنه هو سبب قولهم هذا .

إذن .. ففي الجنة الأنهار مختلفة والثمار مختلفة ، والرزق
 فيها من الله سبحانه وتعالى مباشرة الذي إذا أراد شيئاً يقول له :
 ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ، ولا أحد يقوم بعمل^(١) .

(١) قال ابن القيم : وهل المراد : هذا الذي رزقنا في الدنيا نظيره
 من الثواكه والثمار ، أو هذا نظير الذي رزقناه قبل في الجنة ؟
 قيل فيه قولان :

عن ابن عباس وعن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي
 عليه السلام قالوا : ﴿ هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ أنهم أتوا بالثمرة
 في الجنة ، فلما نظروا إليها قالوا : هذا الذي رزقنا من قبل في
 الدنيا .

وقال آخرون : هذا الذي رزقنا من قبل من ثمار الجنة ، من قبل
 هذا لشدة مشابهة بعضه بعضاً في اللون والطعم .

واحتج أصحاب هذا القول بحجج :
 إحداها : أن المشابهة التي بين ثمار الجنة بعضها لبعض أعظم
 من المشابهة التي بينها وبين ثمار الدنيا ، ولشدة المشابهة قالوا :
 هذا هو .

الحجة الثانية : أن ثمار الجنة كلما تُرِيع منها شيء عاد مكانه
 آخر مثله ، عن أبي عبيدة وذكر ثمر الجنة وقال : « كلما =

كثيرة

= وقال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمَهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النور: ٢٣] ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ مِنْ ثَمَرَةٍ إِذَا هُمْ بِهَا ﴾ [النور: ٢٣] ﴿ لَا مَقْصُودَ وَلَا مَحْشُورَ ﴾ [النور: ٢٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمَهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النور: ٢٣] .

ولا تُفْتَنُ مِنْ أَرَادَهَا .

وقال : ﴿ هُوَ قَبْرٌ فِي عَيْتٍ زَانِيَةٍ ﴾ [النور: ٢٣] ﴿ فِي جَنَّاتٍ عَالِيَةٍ ﴾ [النور: ٢٣] ﴿ تَلْقَوْنَهَا ﴾ [النور: ٢٣] ﴿ دَانِيَةٍ ﴾ [النور: ٢٣] .

والقطف بالفتح : الغل . أي ثمارها دانية قريبة من يتناولها ويأخذها كيف يشاء ، قال البراء بن عازب : يتناول الثمرة وهو قائم ^(١) .

وقال الله تعالى : ﴿ وَدَانِيَةٍ عَالِيَةٍ ﴾ [النور: ٢٣] ﴿ وَإِلَّا هُمْ أَنْ يَتَنَاولُوا تَنَازُلًا ﴾ [النور: ١٤] . قال ابن عباس : إذا هُم أن يتناول من ثمارها تدلت له حتى يتناول ما يريد . وقال غيره : قريبة =

(١) ذكره المنذرى في الترغيب والترهيب [٦١/٤٩٧١] ثم قال : رواه البيهقي وغيره موقوفاً بإسناد حسن . اهـ . وخُصَّ محققه : صفة الجنة لأبي نعيم ، إسناده عند هناد في الزهد : صفة الجنة [١٩٧/٣٣٥١] .

= خيار ^(١) كله لا رذل ^(٢) ، وعلى هذا فالمراد بالمشابهة التوافق والتماثل .

وقالت طائفة أخرى منهم ابن مسعود وابن عباس وناس من أصحاب رسول الله ﷺ : متشابهة في اللون والرأى وليس يشبه الطعم . قال مجاهد : متشابهة لونه مختلفاً طعمه .

وقالت طائفة وناس : معنى الآية أن يشبه ثمر الدنيا غير أن ثمر الجنة أفضل وأطيب . قال عبد الرحمن بن زيد : يعرفون أسماعهم كما كانوا في الدنيا ؛ التفاح بالتفاح والرمان بالرمان ، قالوا في الجنة : هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهة : يعرفونه وليس هو مثله في الطعم .

وقال : ﴿ جَنَّاتٍ صَلْبَى مُمِصَّةٌ تَلْمُ الْأَكْبُوتُ ﴾ [سورة ص: ٤١] ﴿ فِيهَا يَكْتُمُونَ كُفْرَهُمْ وَيَتْلَوْنَ فِيهَا كُفْرَهُمْ ﴾ [سورة ص: ٤١] ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمَهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النور: ٢٣] ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمَهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النور: ٢٣] .

(١) خيار : متقى وطيب .

(٢) رذل : رديء .

= وفي صحيح مسلم من حديث جابر عن النبي ﷺ قال :
« غُرِضَتْ عَلَى الْجَنَّةِ حَتَّى لَوْ تَتَاوَلَتْ مِنْهَا قِطْعًا أَخَذْتَهُ » وفي
لفظ : « فتناولت منها قِطْعًا قَصَصْت عنه يدي » (١) .

وعن ابن عباس قال : « ثمر الجنة أمثال القلال والدلاء ، أشد بياضًا .
من اللبن ، وأحلى من العسل ، وألين من الزبد ليس فيه عَجَم » (٢) .
وعن البراء بن عازب قال : « إن أهل الجنة يأكلون من ثمار
الجنة قياتًا وقعودًا ومضطجعين على أي حال شاءوا » (٣) . =

= عن غيب لا يعلم بالرأى ولا بقياس . وذكره ابن القيم في حادي
الأرواح من رواية عبد الله بن أحمد بن حنبل مرفوعًا صراحة .
وكذلك ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد [١٩٧/٨] عن أبي
موسى رفعه وقال : رواه البزار والطبراني ورجاله ثقات . هـ .
[بتصرف واختصار مسر] .

(١) رواه ابن خزيمة في صحيحه [١٣٨١/٣١٥/٢] ، والبيهقي في
الكبرى [٦١٠٧/٣٢٤/٣] ، والطيالسي [١٧٥٤] .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) ذكره المنذرى في الترغيب والترهيب [٢٩٠/٤] وقال : رواه
البيهقي وغيره موقوفًا بإسناد حسن . وانظر فتح الباري [٦٨٥/٨] .

= إليهم مذلة كيف شاءوا ، فهم يتناولونها قياتًا وقعودًا
ومضطجعين . فيكون كقوله : « فكلوها دأية » ومعنى تذليل
القطف تسهيل تناوله .

وقال تعالى : ﴿ فِيهَا مِنْ كُلِّ ثَمَرٍ ذِي عَصَا ﴾ [الرحمن : ٥٢] .
وفي الجنتين الآخرين ﴿ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ [الرحمن : ٦٨] .
وخص النخل والرمّان من بين الفاكهة بالذكر لفضلهما
وشرفهما ، كما نص على حدائق النخل والأعناب في سورة
النبا ، إذ هما من أفضل أنواع الفاكهة وأطيبها وأحلاها ، وقد
قال تعالى : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَعْقَرُهَا مِنْ
رَبِّهِمْ ﴾ [محمد : ١٥] .

وعن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ : « أهبط الله آدم
عليه السلام من الجنة وعلمته صنعة كل شيء وزوده من ثمار
الجنة ، فشارككم هذه من ثمار الجنة غير أنها تنقر وتلك لا
تنقر » (١) . وقد تقدم أن سيرة المنتهى تنقرها مثل القلال . =

(١) رواه الطبري في تفسيره [٣٩٣/١٥٣٩] بمثله موقوفًا . وقال
العلامة أحمد شاكر عن إسناده الطبري : هذا إسناد صحيح
وهو إن كان موقوفًا لفظًا فإنه مرفوع حكمًا لأنه إخبار =

أصحاب الجنة

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ أَزْيَيْتَكَ أَصْحَابُ

الْجَنَّةِ ﴾ [الأعراف : ٤٢] .

ومعنى أصحاب : أنهم لا يفارقونها ، تمامًا كما يجب الإنسان صاحبه ، فالجنة تطلبهم كما يطلبونها ، وفيها الخلود ، والنعمة فيها لا تزول عن الإنسان ولا تفارقه ولا تبعد عنه ، أى لا يفارقها هو بالموت ، وهى حياة ليس فيها أغيار ، أى لا تكون فيها صحيحًا فمعرض ، ولا غنيًا فتفتقر ، فهذه الأغيار موجودة فى الدنيا حتى يلفئنا الله إلى أن النعمة منه فتشكره ولا تنسبها إلى أنفسنا وقدرتنا وعقولنا ، ويتم الجنة أكثر وأكبر من كل متطلبات أهلها ، بحيث يأخذ الإنسان منها حاجته وما يزيد عن هذه الحاجة ، ولذلك فإنه إذا تبنى الإنسان شيئًا فى الجنة وجدته أمامه بمجرد أن يرد على خاطره ، كذلك لا يوجد غل ولا حقد بين أهل الجنة ، يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِمْ مِّمَّنْ يَقُولُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴾ [الأعراف : ٤٣ ، الممر : ٤٧ ، أى أنهم متى دخلوا الجنة غلٍ نزعوا جميعًا بأكثر مما كانوا يتوقعون . والصرع فى الدنيا

وفى حديث لقيط بن صبرة الذى رواه عبد الله بن أحمد فى مسند أبيه وغيره : قلت : يا رسول الله على ما يطلىح أهل الجنة ؟ قال : على أنهار من عمل مضئى ، وأنهار من كأس ما بها من صداع ولا ندامة ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وماؤه غير آمن وبها كهوة - لعمركم إلهك - مما يعلمون وخير من مثله معه ^(١) . وأما الريحان فهو كل نبت طيب الرائحة .

صحيح حادى الأرواح [١٥٦-١٦٠] .

○○○

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّكَ اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَوْا
نَحْنُ عَلَيْهِمُ الْمُلْكُ ۚ أَفَلَا تَحْكُمُونَ وَلَا تَحْشَرُوا ۚ وَابْتَغُوا

بِالْبَيِّنَةِ أَنِّي كُنْتُ نُوحِيْكُمْ وَأَنِّي قُلْتُ : ﴿ فَصَلِّ : ٢٠ ﴾

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ

أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِإِذْنِهِ هَمُّوا وَأُولَئِكَ هُمُ

سَيِّدِي اللَّهِ بِأَمْرِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَفَلَمْ أَحْذِرْ لَكُمْ

الْعَذَابَ ۚ ﴾ ﴿ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِإِذْنِهِ هَمُّوا وَأُولَئِكَ هُمُ

سَيِّدِي اللَّهِ بِأَمْرِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَفَلَمْ أَحْذِرْ لَكُمْ

الْعَذَابَ ۚ ﴾ ﴿ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِإِذْنِهِ هَمُّوا وَأُولَئِكَ هُمُ

سَيِّدِي اللَّهِ بِأَمْرِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَفَلَمْ أَحْذِرْ لَكُمْ

الْعَذَابَ ۚ ﴾ ﴿ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِإِذْنِهِ هَمُّوا وَأُولَئِكَ هُمُ

سَيِّدِي اللَّهِ بِأَمْرِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَفَلَمْ أَحْذِرْ لَكُمْ

الْعَذَابَ ۚ ﴾ ﴿ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِإِذْنِهِ هَمُّوا وَأُولَئِكَ هُمُ

سَيِّدِي اللَّهِ بِأَمْرِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَفَلَمْ أَحْذِرْ لَكُمْ

الْعَذَابَ ۚ ﴾ ﴿ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِإِذْنِهِ هَمُّوا وَأُولَئِكَ هُمُ

سَيِّدِي اللَّهِ بِأَمْرِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَفَلَمْ أَحْذِرْ لَكُمْ

والخلافاً والقبول يتم على أساس أن كل واحد يريد أن يستأثر
بالنعم ، فبئس ما للحكم والسياسة ، وهذا يريد أن يأخذه منه ،
وهذا منه المال وهذا يريد أن يستوى المال منه ، هذا التنافس
على النعم لا وجود له في الجنة ، لأن نعم الله في الجنة تزيد
عن حاجة عباده ، بل كلما تقربوا شيئاً وجدوه ، كما أن الله
سبحانه وتعالى يظهر نفوس أهل الجنة ، فإذا كان لك زوجة
صالحة ، وكانت لا تعجبك منها أشياء طهرها الله سبحانه عما
لا يعجبك ، ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَهُمْ

فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ [البقرة : ٢٥] .

والزوجة الصالحة التي كان لا يعجبها في زوجها شيء
يطهره الله منه (١) .

(١) وعن ذكر من يستحق هذه البشارة دون غيره قال الله تعالى :

﴿ وَلَيَبْرِكَنَّ الَّذِينَ يَرْغَبُونَ فِيهَا وَيَكْفُرُونَ عَنْهَا وَيَقْنَتُونَ فِيهَا وَابْتَغُوا

فِيهَا مَغْنَمًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة : ٢٥] .

وقال تعالى : ﴿ الْآلِ إِنَّكَ أَوْلَىٰ بِالنَّفْسِ بِمَا كَانَتْ تَخْرُجُ

فِيهَا مَغْنَمًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة : ٢٥] .

ذلك هو الفرد العظيم ﴿ [نفس] ﴾ .

إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُعْمِدُوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَلَمْ يَكْمُلُوا ۝ أُولَئِكَ

جَزَاءُكُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّتْ بُعْرَىٰ مِنْ تَحَنُّنِكَ الْآخِرِ

۝ [آل عمران]

خَلِيلِيكَ فِيهَا وَيَقَمُّ أَجْرُ الْمُحْسِنِينَ ۝ ﴿١٤٠﴾ [آل عمران]

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدْرَكُوا عَلَىٰ يَمِينِكُمْ عُذْرِي

الَّذِينَ تَدْعُونَ إِلَهُهُمْ وَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُؤْمِرُونَكُمْ أَنْ تَكْفُرُوا بِاللَّهِ

فَكُلُّكُمْ قَاتِلٌ لِلَّذِينَ يُؤْمِرُونَكُمْ بِاللَّغْوِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ۝ [الصف: ١١٣]

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ عَاقِبَتَ عَمَّا رِيبَهُ جَنَانًا ۝ [الرحمن: ٤٦]

وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّمَا تَنَادَىٰ عَاقِبَتَ عَمَّا رِيبِهِ وَتَمَّىٰ أَنْفُسٌ عَنِ الْوَعْدِ ۝ فَإِنَّ الْآلِهَةَ

بِمِ الْأَنْبِيَاءِ ۝ [التارعات]

قال ابن التيم : وهذا في القرآن كثير مداره على ثلاث قواعد :

الأولى : إيمان وتقوى .

والثانية : عمل خالص لله .

والثالثة : على موافقة السنة .

فأهل هذه الأصول الثلاثة هم أهل البشرى دون من علمهم من

سائر الخلق ، وعليها دارت بشارات القرآن والسنة جميعها ،

وهي تجتمع في أصليين :

الأول : إخلاص في طاعة الله .

الثانى : إحسان إلى خلقه .

- وفي المسند وغيره أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال :

« قد أنزلت على عشر آيات ، من أقامهن دخل الجنة ، ثم تلا :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ حتى ختم العشر آيات .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ

وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهَوْنَ وَالَّذِينَ لَمْ يَمْسُكُوا بِكُلْمَةٍ فَعَسَوْا

بِهَا وَالَّذِينَ لَمْ يَمْسُكُوا بِكُلْمَةٍ فَعَسَوْا بِهَا وَالَّذِينَ لَمْ يَمْسُكُوا بِكُلْمَةٍ

فَعَسَوْا بِهَا وَالَّذِينَ لَمْ يَمْسُكُوا بِكُلْمَةٍ فَعَسَوْا بِهَا وَالَّذِينَ لَمْ يَمْسُكُوا

بِكُلْمَةٍ فَعَسَوْا بِهَا وَالَّذِينَ لَمْ يَمْسُكُوا بِكُلْمَةٍ فَعَسَوْا بِهَا وَالَّذِينَ

لَمْ يَمْسُكُوا بِكُلْمَةٍ فَعَسَوْا بِهَا وَالَّذِينَ لَمْ يَمْسُكُوا بِكُلْمَةٍ فَعَسَوْا

بِكُلْمَةٍ فَعَسَوْا بِهَا وَالَّذِينَ لَمْ يَمْسُكُوا بِكُلْمَةٍ فَعَسَوْا بِهَا وَالَّذِينَ

لَمْ يَمْسُكُوا بِكُلْمَةٍ فَعَسَوْا بِهَا وَالَّذِينَ لَمْ يَمْسُكُوا بِكُلْمَةٍ فَعَسَوْا

بِكُلْمَةٍ فَعَسَوْا بِهَا وَالَّذِينَ لَمْ يَمْسُكُوا بِكُلْمَةٍ فَعَسَوْا بِهَا وَالَّذِينَ

لَمْ يَمْسُكُوا بِكُلْمَةٍ فَعَسَوْا بِهَا وَالَّذِينَ لَمْ يَمْسُكُوا بِكُلْمَةٍ فَعَسَوْا

بِكُلْمَةٍ فَعَسَوْا بِهَا وَالَّذِينَ لَمْ يَمْسُكُوا بِكُلْمَةٍ فَعَسَوْا بِهَا وَالَّذِينَ

لَمْ يَمْسُكُوا بِكُلْمَةٍ فَعَسَوْا بِهَا وَالَّذِينَ لَمْ يَمْسُكُوا بِكُلْمَةٍ فَعَسَوْا

بِكُلْمَةٍ فَعَسَوْا بِهَا وَالَّذِينَ لَمْ يَمْسُكُوا بِكُلْمَةٍ فَعَسَوْا بِهَا وَالَّذِينَ

لَمْ يَمْسُكُوا بِكُلْمَةٍ فَعَسَوْا بِهَا وَالَّذِينَ لَمْ يَمْسُكُوا بِكُلْمَةٍ فَعَسَوْا

بِكُلْمَةٍ فَعَسَوْا بِهَا وَالَّذِينَ لَمْ يَمْسُكُوا بِكُلْمَةٍ فَعَسَوْا بِهَا وَالَّذِينَ

لَمْ يَمْسُكُوا بِكُلْمَةٍ فَعَسَوْا بِهَا وَالَّذِينَ لَمْ يَمْسُكُوا بِكُلْمَةٍ فَعَسَوْا

بِكُلْمَةٍ فَعَسَوْا بِهَا وَالَّذِينَ لَمْ يَمْسُكُوا بِكُلْمَةٍ فَعَسَوْا بِهَا وَالَّذِينَ

= لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم قلب واحد يسبحون الله

بكرة وعشيا^(١) .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل تدرون أول من يدخل الجنة ؟ » قال : أول من يدخل من خلق الله ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء المهاجرون الذين تسد بهم الثغور ، لا يستطيع لها قضاء ، فيقول الله عز وجل لن يشاء من ملائكته ويقتى بهم المكاريه ، ويوت أحدهم وحاجته في صدره ، لا يستطيع لها قضاء ، فيقول الله عز وجل لن يشاء من ملائكته أتوهم فحيوهم ، فتقول الملائكة : نحن سكان سمائك وخيرتك من خلقك ، أنشأنا أن تأتي هؤلاء فنسلم عليهم ، قال إنهم كانوا عباداً يعبدوني لا يشركون بي شيئاً وتسد بهم الثغور ، ويقتى بهم المكاريه ، ويوت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء ، قال : فتأتيهم الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب : « سَلِّمُ عَلَيْكُمْ يَا صِدِّيقِي فِيمَ عَقَى الْآلَاءُ كَمْ »^(٢) [الرعد : ٢٤] .

• [١٧/٢٨٣٤] وسلم ، واللفظ له ، [١٧/٢٨٣٤] .

(١) أخرجه البخاري [٣٢٤٥] واللفظ له ، وصححه الشيخ أحمد شاكر في (٢) رواه أحمد [١٦٨/٦] ، وصححه الشيخ أحمد شاكر في المسند [٦٥٧٠] ، وقال الأرنؤوط : إسناده جيد .

١٥٣

لمجد وعبد لمسلم

= وضلها يجتمع في الدين براعون ويعتون الماعون .

وترجع إلى خصلة واحدة ، وهي موافقة الرب تبارك وتعالى في محابه ، ولا طريق إلى ذلك إلا بتحقيق القدوة ظاهراً وباطناً برسول الله ﷺ ، وأما الأعمال التي هي تفاصيل هذا الأصل فهي بضع وسبعون شعبة : أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، وبين هاتين الشعبتين سائر الشعب التي مرجعها تصديق الرسول ﷺ في كل ما أخبر به ، وطاعته في جميع ما أمر به إيجاباً واستيجاباً ، كالإيمان بأسماء الرب وصفاته وأفعاله وآياته من غير تحريف لها ولا تعطيل ، ومن غير تكيف ولا تمثيل ، كما قال الشافعي رحمه الله : الحمد لله الذي هو كما وصف به نفسه وفوق ما يفهمه به خلقه .

وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول نُفُوزَةٍ تُلَاحِظُ الْجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ النَّعْرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، لَا يَصْمَتُونَ فِيهَا ، وَلَا يَتَخَطَّبُونَ ، وَلَا يَتَفَرَّقُونَ ، أَنْتَهُمْ فِيهَا وَأَمْسَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَمَجَازِمُهُمْ مِنَ الْأَثَرَةِ ، وَرَشَحُهُمُ الْمَسْكُ ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ يَرَى مِخَ سَوْقَتِهَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الْحَسَنِ ، »

لمجد وعبد لمسلم

١٥٢

باب جامع في صفات اهل الجنة

قال تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمُودُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الَّذِينَ يُؤْتُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالْعُسْرَةِ وَالْكَيْدِ الْعَيْدَ وَالْمَكَايِدَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ] ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا لِقَوْلِ اللَّهِ قَالُوا آمَنَّا وَلَكِنْ لَّمْ نُغَيِّرْ قُلُوبَهُمْ ذَكَرْنَا اللَّهُ فَأَلْفَمْنَاهُمُ الَّذِينَ يُدْعَوْنَ وَمَنْ يُغَيِّرِ اللَّهُ قُلُوبَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُغَيِّرْهُ عَلَىٰ مَا كَانُوا وَعَمُ يَعْلَمُونَ ﴾ [الَّذِينَ جَزَّاهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَهُمْ لَا يَمُرُّ الْكَافِرُونَ] ﴿ [آل عمران] .

قال تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ وَالْأَنْصَارُ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِلُحْظَيْنِ رَضَىٰ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١٠٠] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُتَّقُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الَّذِينَ يُؤْتُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ] ﴿ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ حَقًّا لَّمْ يَمُوتْ وَجِلَّتْ عَنْهُمْ رَيْبٌ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٢] .

= وعن بريدة رضي الله تعالى عنه قال : أصبح رسول الله ﷺ فلما بلالاً فقال : يا بلال قم سبقتي إلى الجنة ؟ ما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامي . دخلت البارحة الجنة فسمعت خشخشتك أمامي ، فأثيت على قصر مزيغ مشرف من ذهب ، قلت : لمن هذا القصر ؟ قالوا لرجل من العرب ، قلت أنا عري ، لمن هذا القصر ؟ قالوا لرجل من قريش ، قلت : أنا قريشي لمن هذا القصر ؟ قالوا : لرجل من أمة محمد ﷺ قلت أنا محمد ، لمن هذا القصر ، قالوا : لعمر بن الخطاب . فقال بلال : يا رسول الله ما أذنت قط إلا صليت ركعتين ، وما أصابني حدث قط إلا توضأت عندها ورأيت أن الله علي ركعتين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بهما ؟ (١) .

○○○

(١) رواه الترمذي [٣٦٨٩] ، وأحمد [٣٦٠/٥] وصححه الألباني في صحيح الترمذي [٢٩١٢] ورواه ابن خبان في صحيحه [٧٠٨٦] وقال الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم .

= أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا ،

وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم ، فغضبهم ، إلا

بقايا من أهل الكتاب ، وقال : إنما بعثك لأتليك وأتبى بك .

وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء ، تقرؤه نائما ويقظان ، وإن

الله أمرني أن أخرجن قريشا . فقلت : رب إذا يئسوا رأسي فبدعوه

نجوة ، قال : استخرجهم كما استخرجوك ، وأغورهم تُغزك ،

وأنق فستنق عليك وابعث جيشا نبعت خمسة مثله ، وقال

بين أطاعك من عصاك .

قال : وأهل الجنة ثلاثة :

ذو سلطان مُقسط متصدق، مؤثّق .

ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ، ومسلم .

وعفيف متصف ذو خيال .

قال : وأهل النار خمسة :

الضعيف الذي لا زكّر له الدين هم فيكم تبعا لا يتبعون أملا ولا

مالا .

والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه .

ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك . =

= قال ابن القيم : أهل الجنة أربعة أصناف ذكرهم الله سبحانه

وتعالى في قوله : ﴿ هُوَ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ

أَقْبَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْقَبِيلِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ

وَحَسِّنْ أُولَئِكَ رَفِيقًا ۚ ﴾ [النساء : ٦٩] ، نسأل الله أن يجمعنا

منهم بئنه وكرمه .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه و أن رسول الله صلى الله

عليه وعلى آله وسلم أمر بالآل ينادى في الناس : إنه لا يدخل

الجنة إلا نفس مسلمة ^(١) ، وفي رواية أنه لا يدخل الجنة إلا

مؤمن ^(٢) .

وعن عياض بن حمار الجاشعي رضي الله تعالى عنه أن رسول

الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته : و ألا إن ربي أمرني أن

أعلمكم ما جهلتم بما علمني يومى هذا ، كل مال نحله عبدا

حلال ، وإنى خلقت عبداى حنفا كلبهم ، ولأنهم أتتهم

الشياطين فاجتالهم عن دينهم وخروفت عليهم ما =

(١) جزء من حديث أخرجه البخارى [٣٠٦٢] ، ومسلم [١٧٨/١١] .

(٢) جزء من حديث أخرجه البخارى [٤٢٠٢] .

١٥٦

برجالكم من أهل الجنة ؟ : النبي في الجنة ، والشهيد في الجنة ، والمُؤدَّب في الجنة ، والمُؤدَّب في الجنة ، والرجل يزور أخاه في ناحية العصر في الله في الجنة . ألا أخبركم بنسائلكم من أهل الجنة ؟ : الورد والورد ، العود ؛ التي إذا ظلمت قالت : هذه يدي في يديك ، لا أدرك غنصاً حتى ترضى^(١٦) .

○○○

(١) ذكره الألباني في صحيح الجامع الصغير [٢٦٠٤] وحسنه وعزاه للدارقطني في الأفراد والطبراني في الكبير .

= وذكر البخل أو الكذب ، ، والبطيلير الفحاش^(١٧) .
وان الله أوحى إلي : أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد^(١٨) .

وعن حارثة بن وهب رضى الله تعالى عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأؤتوه . ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عمل جوارح مستكبر^(١٩) . »

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إن أهل النار : كل جعظري جوارح مستكبر جماع مناج ، وأهل الجنة الضمضاء المغلوبون^(٢٠) » وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أخبركم =

(١) أخرجه مسلم [٢٦٣/٢٨٦٥] .

(٢) أخرجه مسلم [٢٦٤/٢٨٦٥] .

(٣) أخرجه البخاري [٤٩١٨] ، ومسلم [٤٧/٢٨٥٣] .

(٤) رواه أحمد في المسند [٢١٤/٢] وقال أحمد شاكر في المسند [٢٠١٠] : إسناده صحيح ، وواقعه الأناؤوط .

ومن صفات أهل الجنة

القول الحق

قال الله تعالى: ﴿فَأَنبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٨٥].
إنها كلمة الحق التي تقال في كل مكان وزمان . قالها نجاشي الجبشة لأهل الجاه من قريش الذين استبد بهم باطلهم ؛ لذلك كان لهذه الكلمة وزنها ، فعندما سمع ما نزل من القرآن من سورة مريم قال : إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ^(١) .

(١) أرسلت قريش عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة يحملان الهدايا إلى النجاشي وبطارقته ، فقابلها النجاشي طالين إليه إعادة من هاجر من المسلمين ، فأرسل النجاشي إلى المسلمين فسألهم عن دينهم ، فقال جعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه : «أيها الملك كنا قورنا على الشرك ، نعبد الأوثان ونأكل الميتة ، ونسب الجوار ، ونستحل الحرام ، بعضنا من بعض في سفك الدماء وغيرها ، لا نحل شيئا ولا نحرمه ، فبعث الله إلينا نبيا من أنفسنا نعرف وفاءه . وصدقه وأمانته ، =

= فدعانا إلى أن نعبد الله وحده لا شريك له ، ونصل الرحم ،

ونحسن الجوار ، ونصلي ونصوم ، ولا نبيد غيره » .

فقال : هل معك شيء مما جاء به وقد دعا أساقفته فأمرهم فنشروا المصاحف حوله .

فقال جعفر : نعم .

قال : هلُم فأتل علي ما جاء به .

فقرأ عليه صدرا من ﴿كَهَيِّتْ لَهُ﴾ [مريم: ١١] ، فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحته ، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم .

ثم قال : إن هذا الكلام ليخرج من المشكاة التي جاء بها موسى ، انطلقوا راشدين .

ولما أخفقت محاولة وفد قريش في استعادتهم ، أثار عمرو بن العاص في اليوم التالي موقف المسلمين من عيسى عليه السلام ، فقال النجاشي : أيها الملك إنهم يقولون في عيسى قولا عظيما . فأرسل النجاشي إليهم فسألهم ، فقال له جعفر : تقول هو عبد الله ورسوله وكلمته ، وروحه ألقاها إلى مريم العذراء البتول . فقال النجاشي : ما عدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العود . وأعطى النجاشي الأمان للمسلمين ، فأقاموا مع خير جار =

ليطبقها ؛ لذلك كان يكفيه أنه قال هذا القول ، ولذلك صلى عليه النبي ﷺ صلاة العائيب .

وهناك قصة ومخبريق اليهودي . لقد تشرب قلبه الإسلام وامتلا به وكان في غاية الثراء فقال لليهود : كل مالي لحمد وسأخرج لأحارب معه . وخرج إلى القتال مع رسول الله ﷺ ، فقتل فمات شهيداً ، وهو لم يكن قد صلى في حياته كلها ركعة واحدة .

إذن .. علينا أن نعلم أن القول الحق هو فتح مجال الفعل الحق .

وقوله تعالى : ﴿ فَاتَّبِعُوا اللَّهَ يَسَا قَالُوا جَنَّتِي تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ الحق يريد أن يؤكد لنا أن كل حركة إيمانية حتى ولو كانت قولاً إنما تأخذ كمالها من عمرها . ونعلم أن الإيمان في مكة كان هو الإيمان بالقول . ذلك أن الناس آمنت ولم تكن الأحكام قد نزلت ، فعالية الأحكام نزلت في المدينة . وعلى ذلك أثاب الله المؤمنين لجرد أنهم قالوا كلمة الإيمان . فهو لاء قد جواهرهم الله حسن الثواب وسماهم ومحسنين .

إذن .. فهي كلمة حق لها وزن ، والله سبحانه وتعالى يعزول المعطاء لكل من ساند الحق ولو بكلمة فهو سبحانه والشكور ، الذي يعطي الكثير على القليل ، ووالحسن ، الذي يضاعف الجراء للمحسنين .

ولنا أن نعرف أن للقول أهمية كبرى لأنه يرتبط من بعد ذلك بالسلوك . وكان قول النجاشي عظيماً ، لكن العمر قد قصر به عن استمرار العمل بما قال . فقد قال كلمته وجاءه التوكيل من رسول الله ﷺ لعقد للرسول على أم حبيبة بنت أبي سفيان فعقد عليها وكيلاً عن رسول الله ﷺ وأمرها من ماله ثم مات ، ولم تكن أحكام الإسلام قد وصلت إليه

= في خير دار - كما تقول أم سلمة رضي الله تعالى عنها (١) .

(١) انظر السير والمغازي لابن إسحاق [٢١٦-٢١٧] ، وسيرة ابن هشام [٤٢٦-٤٢٧] بإسناد حسن إلى أم سلمة رضي الله تعالى عنها ، ولعل عائشة رضي الله تعالى عنها التي حكى خير النجاشي مع عمه سمعت ذلك من أم سلمة . سيرة ابن إسحاق والسيرة النبوية للشيخ الشراوي [١٩٧/١-١٩٩] .

ومن صفات أهل الجنة الصدق

قال الله تعالى : ﴿ قَالِ لِلَّهِ كَلَامٌ يَوْمَ يُنْفَعُ الْمُشْرِكِينَ وَيُنْفَعُ اللَّهُ لَكُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْغَوْزُ الظَّلِيمُ ﴾ [الأنعام : ١١٩] .

نعرف أن هناك صدقاً ينفع يوم القيامة وهو الصدق الموصول بصدق الدنيا . وهناك صدق لا ينفع يوم القيامة ومثال ذلك قول إبليس اللعين كما يحكي القرآن الكريم : ﴿ إِنْكَ اللَّهُ وَعَدْتُمْ ﴾ وَقَدْ لَخِيَ وَوَعْدْتُمْ فَأَنْفَقْتُمْ ﴾ [إبراهيم : ٢٢] .

مثل هذا الصدق لا ينفع أحداً ؛ لأن الآخرة ليست دار التكليف . لكن الصدق الموصول بصدق الدنيا هو قول عيسى عليه السلام : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ قُلْتُمْ فَقَدْ عَلِمْتُمْ ﴾ . ولذلك يقول الله في الصدق الموصول : ﴿ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ .

ذلك أن صدق الصادقين يوم القيامة هو صدق موصول بصدقهم في زمن التكليف في الدنيا ، ويتلقون عنه رضا الله سبحانه : ﴿ كَلِمَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾

وكذلك فعل النجاشي ، فقد ذهب إلى الإيمان دون أن توجه له دعوة وكان ذلك قبل أن يكتب رسول الله ﷺ الدعوة للملوك ليؤمنوا ، وعلى هذا فالنجاشي محسن ؛ لأنه سارع إلى الإيمان قبل أن يُطلب منه .

○○○

كثيراً . أما النعيم الذى هو الفوز العظيم فهو النعيم الموصول الذى لا يمنعه أحد ، ولا يقطعه شيء ، أو بمعنى آخر : لا يفوت الإنسان ، ولا يفوته الإنسان ^(١) .

○○○

(١) أخرج البخارى [٢١٠٩٤] عن عبد الله رضى الله عنه ، عن النسي عليه السلام قال : « إن الصديق يهدى إلى البر ، وإن البر يهدى إلى الجنة » ، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقاً . وإن الكاذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكذب عند الله كذاباً .

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴿١﴾ وإن تساءل إنسان : كيف يرضى العبد عن ربه ؟

نقول : إن العباد المؤمنين عندما يعاينون الجراء الممد لهم فى الآخرة يجتمعون بالجور ويقولون : ﴿ هُوَ أَحْسَنُ إِلَهُ الَّذِي صَدَقْنَا وَصَدُّوا كَذَرْنَا الْأَرْضَ نَبْرًا مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ﴾ [الرمر : ٧٤] .

هذه الآية التى تحدث عن يوم ينفع الصادقون صدقهم بقوله : ﴿ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ كأن هناك فوزاً غير عظيم ، وفوزاً عظيماً . والفوز الغير عظيم : هو ما يعطيه الإنسان لنفسه فى دار التكليف من متعة قصيرة العمر والأجل ، فيبدو ظاهرياً وكأنه قد فاز ، وفى الحقيقة ليس هو الفوز العظيم لأن الندم سيقبه ، رأى لذة يعقبها ندم ليست فوزاً ؛ لأن الدنيا بكل ما فيها من نعيم هو نعيم مهمل بشيئين :

الأول : أن يزول النعيم عن الإنسان ، وكثيراً ما رأينا منغمين زال عنهم النعيم .

الثانى : أن يترك الإنسان هذا النعيم بالموت ، ونرى ذلك

وهنا جاء كظم الغيظ ليأخذ ذروة الحدث وقمته عند رسول الله في واحد من أحب البشر إليه وفي أكبر حادث أضغبه ،
فبذل قول الحق سبحانه : ﴿ وَلَيْكَ عَاقِبَةُ فَعَالِقُوا بِمَعْنَى مَا عَاقِبْتُمْ بِهِ ﴾ وَلَيْسَ صَبْرُكُمْ لَهُمْ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿ [النحل : ١٢٦] .

وقوله تعالى : ﴿ وَالْكَافِرِينَ الْيَغْتَصِبُونَ ﴾ أصل الكظم أن غملاً ، والقربة ، والقرب كما نعرف كان يحملها ، والسقا ، في الماضي ، وكانت وعاء نقل الماء عند العرب ، وهي من جلد مدبوغ ، فإذا ملئت القربة بالماء شُدَّ على رأسها ، أي : رُبط رأسها ربطاً محكمًا بحيث لا يخرج شيء مما فيها ، ويقال عن هذا الفعل : كظم القربة ، أي ملأها وربطها ، والقربة لينة وعندما توضع على ظهر واحد أو على ظهر الدابة فمن ليريتها تخرج الماء لها وتربط بإحكام كي لا يخرج منها شيء .

كذلك يفعل الغيظ في النفس البشرية ، إنه يهيئها ، والله لا يمنع الهياج في النفس لأنه انفعال طبيعي في التكوين

ومن صفات أهل الجنة
كظم الغيظ

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَعْبِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتِ لِلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُلُوبِ الْمُتَغَيِّطِ وَالْمَافِئِدِ عَيْنِ النَّاسِ ۖ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝ ﴾ [آل عمران] .

هذه بعض من صفات المتقين ﴿وَالْمُكَافِلِينَ الْفِتَى﴾ لأن
المركة - معركة أحد - سعتنا هذه الصورة أيضا . فمحزنة
وهو سيد الشهداء وعم رسول الله ﷺ يُقتل . ولم يقتل فقط
ولكنه قتل به ، وأخذ بضغ من كبده ، فلاكه هند ،
وهذا أشد من القتل . وهو ضغن دنيء .

أَخَذَتْ قَلَمَهُ وَبَدَأَ كِتَابَهُ وَمَضَتْهَا ثُمَّ لَفَظَتْهَا ، إِذْ جَعَلَهَا اللَّهُ غَاصِيَةً عَلَيْهَا .

وقد شبه النبي ﷺ هذه الحادثة بأنها أظفح ما لقي . إنها مقتل حمزة ، فقال : « لكن أظفري الله على قريش في موطن من المواطنين لأمتين بثلاثين رجلاً منهم » .

سبحانه لم يخلق المؤمنين من حجر .

ولذلك قال رسول الله ﷺ عند فراق ابنه : « إن العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا ، وأنا بفراقك يا إبراهيم نحزون » (١) .

إذن .. إن المؤمن لا يقول لحقلة الانفعال ما يسهط الرب . بل يكون انفعاله موجه ، والنيظ يحتاج إليه المؤمن حينما يهتج دفاعاً عن منهج الله ، ولكن على المؤمن أن يكتظمه .. أى لا يجعل الانفعال غالباً على حسن السلوك والتدبير .

والكظم : مأخوذ من أمر محس . مثال ذلك : نحن نعرف أن الإبل أو المجماعات التي لها معدتان ، واحدة يختزن فيها الطعام ، وأخرى يتغذى منها مباشرة كالجمل مثلاً ، إنه يختزن فيها ومعنى يختزن الجمل ، أى : يسترجع الطعام من المعدة الإضافية ويضعه ، هذا هو الاجترار . فإذا امتنع الجمل عن الاجترار . يقال : إن الجمل قد كظم .

وهناك فرقاً بين الانفعال في ذاته ، فقد يبقى في النفس

(١) أخرجه البخاري ١٣٠٣٦ عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه .

الإنساني . أراد الله تبارك وتعالى لأشياء : كالغزيرة الجنسية مثلاً ، هو يريد لها لبقاء النوع ، ويضع من التشريع ما يهذبها فقط ، وكذلك انفعال النيظ ، إن الإسلام لا يريد من المؤمن أن يُصَبَّ في قالب من حديد لا عواطف له .

لا .. إن الله سبحانه يريد للمؤمن أن يفعل للأحداث ، لكن الانفعال المناسب للحدث ، الانفعال السامي الشمر ، لا الانفعال المدمر .

لذلك يقول الحق : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ وَهَمَّاءٌ يُؤْتِنُهُمْ رَبُّهُمْ رَغَاءً مُسَجِّدًا يُبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَيَرْضَوْنَآ ﴾ [التح: ٢٩] .

فالمؤمن ليس مطبوراً على الشدة ، ولا على الرحمة ، ولكن الموقف هو الذي يصنع عواطف الإنسان ، يقول سبحانه وتعالى : ﴿ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥٤] .

وهل هناك من هو ذليل وعزير معاً ؟ نقول : المنهج الإيماني يجعل المؤمن مكاناً ، ذليل على أخيه المؤمن وعزير على الكافر .

ومثال آخر للانفعال الطبيعي : وهو انفعال الرسول ﷺ حين مات ابنه إبراهيم ؟ لقد انفعال ودمعت عينيه . فإله

ومن صفات اهل الجنة العفو والإحسان

يقول تعالى : ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ
الْعَافِينَ ﴾ العفو مأخوذ من : عفى على الأثر ، والأثر ما
يتركه سير الإنسان في الصحراء ، ثم تأتي الريح لتمحو هذا
الأثر .

إننا جميعًا صنعة الله ، والخلق كلهم عيال الله ^(١) ، وما دمتنا
كلنا عيال الله فعندما نسيء واحد لآخر فالله يتصرف للمظلوم
ويرضيه ، ويعطيه من رحمته ومن عفوه أشياء كثيرة . وهكذا
يكون الغشاء إليه قد كسب ، ولو فطن الغشاء إليه لأحسن
للمسيء .

لكن العقل البشري يفقد ذكاه في مواقف الغضب ؛
فاللذي يسيء إلى إنسان يجعل الله في جانبه .

(١) روى أبو يعلى الموصلي ٢٣١٥/٦/٦ عن أنس رضي الله
تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اخلق عيال الله
فأجبههم إلى الله أفقههم لماله » ، والطبراني في الكبير
٢١٠٠٣/٨/١٠١ عن عبد الله رضي الله تعالى عنه .

ونكظمه ، أي : إن الإنسان يستطيع أن يُخرجه إلى حيز
التزوع الانفعالي ، ولكنه يكبح جماح هذا الانفعال .
أما العفو فهو أن تخرج الغيظ من قلبك ، وكان الأمر لم
يحدث ، وهذه هي مرتبة ثانية .

أما المرتبة الثالثة فهي : أن تنفل انفعالا مقابلا ؛ أي : أنك
لا تقف عند هذا الحد فحسب ، بل إنك تستبدل بالإساءة
الإحسان إلى من أساء إليك .

وهذا هو الارتقاء في مراتب اليقين ؛ لأنك إن لم تكظم
غيظك وتنفل ، فالتقابل لك أيضًا لن يستطيع أن يضبط
انفعاله بحيث يساوى انفعالك ، ويكتلىء تجاهك بالحدة
والغضب ، وقد يظل الغيظ نايما وربما ورت أجيالا من أبناء
وأحفاد . لكن إذا ما كظمت الغيظ ، فقد يخجل الذي
أمامك من نفسه وتنتهي المسألة .

○○○

ومن صفات أهل الجنة مداومة الذكر والاستغفار

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ ذُنُوبَهُ إِلَّا اللَّهُ وَكَمْ يُصِرُّونَ عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٢١٣٥].
والفاحشة هي : الذنب الفظيع ، والآية تنبهنا إلى أن من يفعل الفاحشة أو يظلم نفسه نسي الله ، فلحظة فعل الفاحشة أو ظلم النفس لا يكون الله على بال الإنسان الفاعل للفاحشة أو على بال من ظلم نفسه ، والذي يُجرئ الإنسان على المعصية ليحقق لنفسه شهرة ، إنه لم ير الله ولم ير جزاءه وعقابه في الآخرة مثلاً أمامه ، ولو تصور هذا لامتنع عن الفاحشة .

وكذلك الذي يهمل في الطاعة أيضًا ، لم يذكر الله وعطاءه للمؤمنين . ولو ذكر الله وعطاءه للمؤمنين لما تكامل عن طاعة الله . ولذلك يقول الحق : ﴿ ذَكِّرُوا اللَّهَ فَأَسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾ ، فمن يستغفر لذنبه فقد ذكر الله .

وموقف العلماء من الفاحشة فيه اختلاف . فبعض العلماء

قال : إنها الكبيرة من الكبائر ، وظلم النفس صغيرة من الصغائر . وقال بعض آخر من العلماء : إن الفاحشة هي الزنا ؛ لأن القرآن نص عليها ، وما درن ذلك هو الصغيرة .
ولكن يجب أن ننتبه إلى أنه : لا كبيرة مع الاستغفار . ولا

صغيرة مع الإصرار^(١)

فلا يجوز للإنسان أن يجاوز عن أخطائه ويقول : هذه صغيرة وتلك صغيرة لأن ميزان الصغائر والكبائر ليس بيده^(٢) .
وحين ننظر إلى قول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ نجد أن الذي فعل الفاحشة ظالم لنفسه أيضًا لأنه حقق لنفسه شهرة عارضة ، وأبقى على نفسه عذاباً حالماً .
ولماذا لم يقل الحق إذن : وللذين ظلموا أنفسهم فقط ؟ أي :

(١) ذكره في لسان الميزان ٢/٧٦ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ورواه النسائي في الكبرى ١/١٨٧/٦١ ، وابن ماجه [٢٣٨١٨] عن عبد الله بن بشر قال : قال رسول الله ﷺ : « طوبى لمن وجد في كتابه استغفاراً كثيراً » .

(٢) وما يؤيد ذلك ما جاء في الصحيحين أن امرأة دخلت النار في هرة حبستها ، وامرأة أخرى دخلت الجنة في كلب سقته .

إِلَّا اللَّهُ ﷻ . ومعنى ذنب ، هو : مخالفة لتوجيه منهج .
فقد جاء أمر في المنهج ولم ينفذ الأمر . وجاء نهى في المنهج فلم يلتزم به .

ولا يسمى ذنباً إلا حين يعرفنا الله الذنوب ، ذلك هو تقين منهج الله . وفي مجال التقين البشرى نقول : لا تجرم إلا بنص ولا عقوبة إلا بتحريم .

وهذا يعني ضرورة إيضاح ما يعتبر جريمة ؛ حتى يمكن أن يحدث العقاب عليها ، ولا تكون هناك جريمة إلا بنص عليها . أى أنه يتم النص على الجريمة قبل أن ينص على العقوبة ، فما بالنا بمنهج الله ؟ إنه يعرفنا الذنوب أولاً ، وبعد ذلك يحدد العقوبات التي يستحقها مرتكب الذنب .

ولنتبه إلى قول الحق : ﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ .

إذن .. فالاستغفار ليس أن تردف الذنب بقولك : أستغفر الله فحسب ، لا .. إن على الإنسان أن يردف الذنب بقوله : أستغفر الله ، وأن يعزم على ألا يفعل الذنب أبداً .

وليس معنى هذا ألا يقع الذنب منك مرة أخرى ؛ إن الذنب

يكون المعطى بـ « الواو » لا بـ « الف » ؛ لأن الحق يريد أن يوضح لنا الاختلاف بين فعل الفاحشة وظلم النفس .
لأن الذى يفعل الفاحشة إما يحقق لنفسه شهوة أو متعة ولو عاجلة ، لكن الذى يظلم نفسه يذنب الذنب ولا يعود عليه شيء من النفع ؛ فالذى يشهد الزور - على سبيل المثال - إنه لا يحقق لنفسه النفع ، ولكن النفع يعود للمشهود له زوراً .
إن شاهد الزور يظلم نفسه لأنه لبي حاجة عاجلة لغيره ، ولم ينقل نفسه من عذاب الآخرة . أما الإنسان الذى يتركب الفاحشة فهو قد أخذ متعة في الدنيا ، وبعد ذلك ينال العقاب في الآخرة .

لكن الظالم لنفسه لا يفيد نفسه ، بل يضّر نفسه ؛ فالذى هو شر أن يتبع دينك بدنياك ؛ إنك في هذه الحالة قد تأخذ متعة من الدنيا وأمد الدنيا قليل .

والحق سبحانه وتعالى لم ينه عن متاع الدنيا ، ولكنه سبحانه قال عنه : ﴿ قُلْ مَنْ مَتَّعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ [النساء : ٢٧٧] . وهناك من يتبع دينه بدنيا غيره ، وهو لا يأخذ شيئاً ويظلم نفسه .

ويقول الحق : ﴿ فَاسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِكُمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ ذُنُوبَكُمْ

ومن صفات أهل الجنة الإففاق في السر والعلن

قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُبْغُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالْعَرَّاءِ وَالْكَاثِلِينَ وَالْمُكَافِينَ بَيْنَ إِلَهَيْنِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل صر: ١٣٤] . إنهم ينفقون في السراء نفقة الشكر . وينفقون في الضراء نفقة الذكر والتفريح . لأن النعمة حين توجد بسراء تحتاج إلى شكر لهذه النعمة ، والنعمة حين تنفق في الضراء تقتضي ضراعة إلى الله ليخرج عن المنق آثار النعمة والضراء .

إذن .. فهم ينفقون سواء أكانوا في عسر ، أم كانوا في يسر . إن كثيرا من الناس ينسبهم اليسر أن الله أنعم عليهم ويظنون أن النعمة قد جاءت عن علم منهم . وبعض الناس تلهيهم النعمة عن أن يحسوا بالآلام الغير وينشغلوا بالآلام أنفسهم . لكن المؤمنين لا ينسون ربهم أبدا ، ويلتزمون أمره بالإففاق في السر واليسر . ولذلك قالوا : « فلان لا يقبض يده في يوم العرس ولا في يوم الحس » .

وفي ذلك لون من طمأنينة المؤمن على أخيار نفسه ، وعلى أنه

قد يقع منك ، ولكن ساعة أن تستغفر اعزم على عدم العودة ، إن الذنب قد يقع ، ولكن بشرط ألا يكون بنية مسبقة ، وتقول لنفسك : سأرتكب الذنب ، واستغفر لنفسى بعد ذلك . إنك بهذا تكون كالمتعزى بربك ، فضلا على أنك قد تصنع الذنب ولا يهلكك الله لتستغفر فتورد نفسك المهالك .

إذن .. قول الحق : ﴿ وَكَمْ يُهَرِّؤُنَا عَلَى مَا قَعَلْنَا وَهُمْ بِمَكْرُومِكَ يَوْمُئِذٍ يَرُدُّونَنَا أَنَّهُ لَا عَاقِبَةَ إِلَّا يَنْجِرِمَ وَلَا يُجْرِمُ إِلَّا بَعْضٌ .

إن الحق يعلمنا ويعرفنا أولا ما هو الذنب ؟ وما هو العقاب ، وكيفية الاستغفار ؟

○○○

ما هذه المسألة ؟ هو ليس محتاجا إلى عملك ، ويعطيك أجرا على عملك ويقول لك : إن هذا الأجر هو الحد الأدنى ، لكن لي أنا أن أضعف هذا الأجر ، ولي أن أنقص عليك بما فوق الأجر . إن الذي تعمل له - يوما - من العباد قد يعطيك على سبيل المثال - ما يكفيك قوت يوم ، أو قوت يوم ونصف يوم . ولكنك حين تأخذ الأجر من الله سبحانه فإنه يعطيك الأوفى ، فهو القاتل سبحانه : **لَوْ وَفَّقَ أَجْرُ الْعَمَلَيْنِ** .

○○○

عندما يستجيب مرة لزعزعات الشيطان ، فهذه لا تخرجه من حظيرة التقوى ، لأن الله جعل ذلك من أوصاف المتقين . فالناجحة التي تكون من نزغ الشيطان ثم ذكر الله تعالى بعدها ، واستغفاره سبحانه مع العزم على عدم العودة ، لا تخرجهم أبدا عن وصفهم بأنهم متقون .
ولذلك قال تعالى : **لَوْ أَن لَّيْلَتِكَ جَزَاؤُكُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّتْ بُحَيْرَىٰ مِّنْ حَمِيمٍهَا الْآخِزَةُ** . **وَالْأَصْرَاقُ** : ٢١٣٦ .
والأجر عادة هو ما يأخذه العامل نتيجة العمل . والأجر حين يأخذه العامل نتيجة لعمل يتوقف على تقسيم العمل عند صاحب العمل نفسه . فزيادة الأجر ونقصه تقدير من صاحب العمل ، وأيضا تقدير للعامل . فإن طلب أصحاب عمل متعددون عاملا محددًا فله أن يطلب زيادة ، وإن لم يطلبه أحد فهو يقبل أول عرض من الأجر نظير أداء العمل .
إذن .. فالمسألة مسألة حاجة من صاحب عمل ، أو حاجة من عامل ، وحين ننظر إلى الصفة في الآخرة نجد أنها بين إله لا يحتاج إلى عملك . ومع أنه لا يحتاج إلى عملك جعل لملك أجرا .

ومن صفات أهل الجنة :
طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ

يقول الله سبحانه : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ مِنْ تَحْتِهَا أَنْهَارٌ مَجْرَى الْمَاءِ فِيهَا خَالِدِينَ ﴾ . الذي يطيع الله ورسوله في الدنيا هو من أخذ التكليف وطبقه ، ويكون الجزاء هو دخول الجنة في الآخرة . لكن دخول الجنة ، هل هو منهج الدين ، أو هو الجزاء على الدين ؟

إنه الجزاء على الدين ، وموضوع الدين هو السلوك في الدنيا ، ومن يسير على منهج الله في الدنيا يدخل الجنة في الآخرة ، فالآخرة ليست موضوع الدين ، لكن موضوع الدين هو الدنيا ، فعندما تريد أن تعزل الدنيا عن الدين تقول لك : لم تجعل للدين موضوعاً ؟ وإياك أن تقول : موضوع الدين هو الآخرة لأن الآخرة هي دار الجزاء ، ولأخذ من حياتنا هذا المثل : هل الامتحان موضوع المنهج أو أن المنهج يقرأه الطالب طوال السنة ، وهو موضوع الامتحان ؟

إن المناهج التي يدرسها الطالب هي موضوع الامتحان ،

ومن صفات أهل الجنة
الجهاد والصبر

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ كَلِمًا بَلَاغًا لِلَّذِينَ جَاهَلُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمُ الْغَابُورُونَ ﴾ [آل عمران : ١٤٢] . إن الإيمان ليس مجرد كلمة يقال هكذا ، بل لابد من تجربة تثبت أنكم فُتِيتُمْ ونَجَحْتُمْ في الفتنه ، والفتنه هي الامتحان . إذن .. فلا تحسبوا أن المسألة سوف تمر بسهولة وبكفئ منكم أن تقولوا نحن نحمل دعوة الحق ، لا .. إذا كنتم صادقين في قولكم بلزكم أن تكونوا أسوة وبخاصة حين يكون الحق ضعيفاً .

ودخول الجنة له اختيار يجب أن يجتازه المؤمن .

والحق سبحانه يقول : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ كِتَابَهُمْ مِنْكُمْ وَيَعْلَمُ الْغَابُورُونَ ﴾ وعندما نسمع ذلك فليعلم أن نعرف أن الله يعلم أزلًا من المجاهد ومن الصابر ؟ ولكنه علم لا يقيم الله تعالى به الحجة على الإنسان ، إلا إذا حدث له واقع من الإنسان نفسه .

ثم بعد ذلك قال الجن : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ
كَالْفَخَّارِ ۝ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ ۝ ﴾ [الرحمن : ٢٨]
ثم قال سبحانه : ﴿ سَنُفِخُ نَفْثًا فِيهِ الْفُتُكَانِ ۝ ﴾ [الرحمن : ٢٩] .
ثم قال سبحانه وتعالى : ﴿ يَتَقَبَّرُونَ ۝ وَالْأَنبِيَاءُ فِي سَنَابِلِهِمْ
أَن يَنْفُثُوا مِنَ الْقُبُورِ السَّكَرَاتِ وَالْأَنبِيَاءُ لَا يَنْفُثُونَ إِلَّا
بِإِذْنِ ۝ ﴾ [الرحمن : ٢٣] .

إذن .. فمن الذى خاف مقام ربه ، هل هو من الجن أو من
الإنس ؟ إن كان من الجن فله جنة ، وإن كان من الإنس فله
جنة أخرى .

إذن .. فمن خاف مقام ربه فله جنتان .

وهناك من يقول : هناك جنتان لكل واحد من الإنس والجن ،
لأن الله ليس عنده أزمة أماكن ، فحين شاء أن يخلق
خلقاً أحصاهم عدا من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة ، وعامل
الكل على أنه مؤمن مطيع ، وأنشأ لكل واحد مكانه فى الجنة ،
وعامل سبحانه الكل على أنه عاصي ، وأنشأ له مقعداً فى النار ،
وذلك حتى لا يفهم أحد أن المسألة هى أزمة أماكن .

وكذلك الدنيا هى موضوع الدين ، والآخرة هى جزاء لمن نجح
ولمن رسب فى الموضوع ؛ لذلك فإياكم أن تقولوا : دنيا ودين ،
فلا يوجد فصل بين الدنيا والدين ؛ لأن الدنيا هى موضوع
الدين . فالدنيا تقابلها الآخرة والدين لهما . الدنيا مزرعة والآخرة
محصد . بهذا نرد على من يقول بفصل الدنيا عن الدين .
ومن يطع الله ورسوله يدخله جنة واحدة ، أو جنتين ، أو
جنت ، وهل دلالة « من » للواحد ؟ لا .. إن « من » تدل
على الواحد ، وتدل على الثنى وتدل على الجميع ، مثال ذلك
نقول : جاء من لقيته أمس ، ونقول أيضاً : جاء من لقيتهما
أمس ، ونقول كذلك : جاء من لقيتهم أمس .

إذن .. ف « من » صالحة للمفرد ، والثنى ، والجمع .

وقد سأل سائل : لماذا يقول الجن سبحانه وتعالى فى سورة
الرحمن : ﴿ وَلَقَدْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ۝ ﴾ [الرحمن : ٢٤] .

فقلت له : إن سورة الرحمن استلهاها الجن سبحانه وتعالى
بقوله الكريم : ﴿ الْإِنْسَانُ ۝ ﴾ [الرحمن : ٢] .

أكثر أهل الجنة

عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كيف أنتم وربع أهل الجنة ، لكم ربعها ، ولسائر الناس ثلاثة أرباعها » .

قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : « فكيف أنتم وثلاثها » ؟

قالوا : فذلك أكثر !

قال : « فكيف أنتم والشمط » ؟ .

قالوا : فذلك أكثر !

فقال رسول الله ﷺ : « أهل الجنة يوم القيامة عشرون ومائة صف ، أنتم منها ثمانون صفاً » (١) .

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن النبی ﷺ قال : عرضت على الأمم فرأيت التي ورمه الرهط ، والتي ورمه الرجل والرجلان . والتي ليس معه أحد ، إذ رفيع لى سواد عظيم ، فظننت أنهم أمي ، فقبل لى : هذا موسى ﷺ وقومه .

(١) رواه أحمد فى المسند [٤٥٣/١] وصححه أحمد شاكر فى المسند [٤٢٧٨] ، وقال الأرنؤوط : صحيح لغيره .

فإذا دخل صاحب الجنة جنته ، بنيت جنة الكافر التي كانت ممددة له على فرض أنه مؤمن ؛ لذلك يقول الحق تعالى : ﴿ هَلْ وَتَدَّكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُرْوِيْتُمْ مَاءَهَا يَمًّا كَثِيرًا فَمَمْلُوكٌ ﴾ [الزخرف : ٧٢] . فغيرت المؤمنون ما كان قد أعد لغيرهم لو آمنوا . إذن .. فاللعاني كلها نجدها صوابا فى أى أسلوب من أساليب القرآن .

○○○

السابقون الأولون والذين اتبعوهم بإحسان

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَوَضَعَا عَنْهُمْ وَأَصْلَهُمْ جَنَّتِي نَجَسِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

والسابقون هم الذي حصل منه الفعل - بعد ما هو فيه - قبل غيره ، وكلنا والحمد لله مؤمنون ، من آمنوا أولاً ، ومن آمنوا بعد ذلك ؛ كلهم مؤمنون ، لكن هناك أناس سبقوا إلى الإيمان ، فهل كان سبقهم سبق زمان أم سبق اتباع ؟ إن سبق الرومان يتحدد في الذين عاصروا رسول الله ﷺ ، فإن ظن ظان أن المقصود بالسابقين هم الذين سبقونا سبق زمان ، فقد يقول منا قائل : وما ذنبنا نحن وقد جئنا بعد زمانهم ؟

ولذلك نقول : إنما السابق يعتبر من معاصر ، أي كان معهم أناس غيرهم وهم سبقوهم ؛ ولذلك جاء القول : ﴿وَمِنَ الْمُهَاجِرِينَ﴾ ونعلم أن الذين هاجروا مع الرسول ﷺ لم

- ولكن انظر إلى الأئمة ، فظفرت ، فإذا سواد عظيم . فقبل لي : انظر إلى الأئمة الآخر . فإذا سواد عظيم . فقبل لي : هذه أئمة ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب . ثم نهض فدخل منزله ، فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب . فقال بعضهم : فلم لهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ . وقال بعضهم : فلم لهم الذين وُلدوا في الإسلام ولم يُشركوا بالله . وذكروا أشياء . فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال : « وما الذي تخوضون فيه ؟ » فأخبروه . فقال : هم الذين لا يؤثرون . ولا يسترقون . ولا يظفرون . وعلى ربهم يتوكلون ، قام عكاشة بن محصن ؛ فقال : ادع الله أن يجعلني منهم . فقال : « أنت منهم » ثم قام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلني منهم . فقال : « سبقك بها عكاشة » (١).

○○○

(١) أخرجه البخاري [٦٤٧٢] ، ومسلم [٣٧٤/٢٠].

ﷺ سيئالون المرتبة الرفيعة ، وهكذا لم يمنع الحق ان يحون من أمة محمد ﷺ إلى أن تقوم الساعة من يصل إلى منزلة رفيعة عالية كالتي وصل إليها الصحابة .

وقد طمأن النبي ﷺ الذين لم يدركوا عهده حين قال : **وَيَذُتْ أَتَا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا** . قالوا : **أَوْ لَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟** قال : **أَنْتُمْ أَصْحَابِي** . وإخواننا الذين لم يأتوا بعد . فقالوا : **كَيْفَ تَعْرِفُ مِنْ لَمْ يَأْتْ بَعْدَ مِنْ أَمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟** فقال : **وَأَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُجَحَّلَةٌ . بَيْنَ ظَهْرِي خَيْلٌ ذُفْعُ بَنِيهِمْ . أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ ؟** قالوا : **بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ !** قال : **فَأَنْبَهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الرُّضْوَةِ . وَأَنَا قَرِطُهُمْ عَلَى الْخُرُوضِ . أَلَا لِيَذْأَدُنَّ رَجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يَذْأَدُ الْبَعِيرُ الْغَضَالُ .** **أَنَادِبُهُمْ : أَلَا هَلُمُّ !** فيقال : **إِنَّهُمْ قَدْ بَدَلُوا بِهَذَا .** فأقول : **مُخَقًّا مُخَقًّا** ، (١) .

وهذا ما يحدث في زماننا بالفعل . ولكن من هم السابقون (١) أخرجه مسلم [٣٩/٢٤٩] ، وأحمد في المسند [٣٠٠/٢] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه .

بكوننا كل مسلمي مكة ، وجاء قوله : **﴿ وَالْأَنْصَارُ ﴾** أيضا لم يكن كل الأنصار من أهل المدينة هم من السابقين . ويحصر المعنى في الذين سبقوا إلى الإيمان في مكة ، والذين سبقوا إلى الفصرة في المدينة ، هؤلاء هم **﴿ السَّابِقُونَ ﴾** . وفي سورة الواقعة يقول الحق سبحانه وتعالى : **﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢﴾ ﴾** [الواقعة] . ثم يأتي من بعدهم في المرتبة : **﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾** [الواقعة : ٢٧] .

ثم يحدد هؤلاء فيقول : **﴿ ثُمَّ اللَّهُ مِنَ الْأُولَئِينَ ﴾** **﴿ وَقِيلَ مِنَ الْآخِرِينَ ﴾** [الواقعة] . ولذلك حينما يأتي من يقول : **لَنْ يَسْتَطِيعَ وَاحِدٌ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ ﷺ تَأَخَّرَ عَنْ عَصْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنْ يَصِلَ إِلَى مَنْزِلَةٍ عَالِيَةٍ كَالَّتِي وَصَلَ إِلَيْهَا الصَّحَابَةُ ؛** لأن الله قال : **﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١﴾ وَقِيلَ مِنَ الْآخِرِينَ ﴾** . نقول له : لا ، بل اطلن إلى بقية قوله سبحانه : **﴿ ثُمَّ اللَّهُ مِنَ الْأُولَئِينَ . وَقِيلَ مِنَ الْآخِرِينَ ﴾** ، وهذا دليل على أن بعضاً من الذين جاؤا بعد زمان رسول الله

والترا روضة خاخ^(١) فإن بها طعيته^(٢) معها كتاب فخذوه منها^(٣).
فقال الإمام علي : فانطلقنا تنأدي^(٤) بنا خيلنا . فإذا نحن
بالرأة . فقلنا : أخرجي الكتاب . قالت : ما معي كتاب . فقلنا :
لأخريج الكتاب أو للثقلين الثياب . فأخرجته من عفاصها^(٥).
فأثينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه : من حاطب بن أبي بلتمة
إلى ناس من المشركين ، من أهل مكة ، يخبرهم ببعض أمر
رسول الله ﷺ .

فقال رسول الله ﷺ : و يا حاطب ! ما هذا ؟ .
قال : لا تفعل على يا رسول الله ! إني كنت اقترأ مثليتنا
في قريش وكان عن كان معك من المهاجرين لهم قرابات

(١) روضة خاخ : هي بساتين مجنتين . هذا هو الصواب
الذي قاله العلماء كافة من جميع الطوائف وفي جميع

الروايات ، وهي بين مكة والمدية ؛ بقرب المدينة .
(٢) فإن بها طعيته : الطعيته هنا الجارية . وأصلها الهروج .
وسيت بها الجارية لأنها تكون فيه .

(٣) تنأدي : أي تجرى .

(٤) عفاصها : أي شعرها المصفور ، جمع عقيمة .

المقصودون في قوله تعالى : ﴿ وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ
الْمُهَاجِرِينَ ﴾ ونحن نعلم أن السابقين من المهاجرين هم أهل
بدر ، الذين دخلوا أول معركة في الإسلام ، مع أنهم خرجوا
من المدينة ، لا يشهدوا حرباً ، ولكن ليعرضوا لغيراً تابعة
لقريش تحمل بضائع ، وكانوا قد تركوا أموالهم وممتلكاتهم
بمكة حين أخرجهم الكفار منها ، فأجبروا أن يقتنموا تلك العير
عوضاً عن مالهم الذي أخذته قريش منهم . ومع ذلك دخلوا
الحرب ، لا مع التوافل التي ضمت العير والحراس والرعاة ،
ولكن دخلوا الحرب مع النفير ، وهم من جاعوا ونفروا من
مكة ، وهم صناديد قريش .

وهكذا كانت منزلة أهل بدر ، أنهم الذين سبقوا إلى الجهاد
في أول معركة للإسلام .

لذلك حين قرر رسول الله ﷺ فتح مكة أراد المفاجأة ،
لكن حاطب بن أبي بلتمة كتب خطاباً إلى بعض أهل قريش
يخبرهم بنزول النبي ﷺ لهم ، فأخبر الله تعالى نبيه ﷺ ،
فقال النبي ﷺ لعلي رضي الله تعالى عنه ومعه الزبير والمقداد :

= رَوْضَةُ خَنَاحٍ فَإِنْ بِهَا ظَعِينَةٌ مَعَهَا كِتَابٌ . فَمُخَذَرَةٌ مِنْهَا ، فانطلقنا نَعَادِي بِهَا خَيْفَانَا . فَإِذَا نَحْنُ بِالرَّاءِ ، قَتَلْنَا : أَخْرَجَنِي الْكِتَابُ . فَقَالَتْ : مَا مَعِيَ كِتَابٌ . قَتَلْنَا : لَتَخْرُجَنَّ الْكِتَابُ أَوْ الثَّقَلَيْنِ الشَّيْبَانِ . فَأَخْرَجْتُهُ مِنْ عَقَائِصِهَا فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا فِيهِ : مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى نَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، يُخْبِرُهُمْ بِعِضِّ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَا حَاطِبُ ! مَا هَذَا ؟ » قَالَ : لَا تَعْمَلْ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنِّي كُنْتُ أَمْرًا مُلْصَقًا فِي قَرِيضٍ وَ قَالَ سُفْيَانُ : كَانَ جَلِيقًا لَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا ، وَكَانَ عَنْ كَانَ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قُرَابَاتٌ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ . فَأُجِيبَتْ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ ، أَنْ أَتَّخِذَ فِيهِمْ يَتِيمًا يَحْمُونَ بِهَا قُرَابَتِي . وَلَمْ أَفْعَلْهُ كُفْرًا وَلَا ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي . وَلَا رِضًا بِالْكَفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « وَصَدَقَ » فَقَالَ عُمرُ : دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَضْرِبْ عُثْقَ هَذَا الْمُنَافِقِ . وَمَا يُدْرِيكَ ؟ لِمَلِ اللَّهُ أَطْلَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ [المنحة : ٢١] .

يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ . فَأُجِيبَتْ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ ، أَنْ أَتَّخِذَ فِيهِمْ يَتِيمًا يَحْمُونَ بِهَا قُرَابَتِي . وَمَا يُدْرِيكَ ؟ لِمَلِ اللَّهُ أَطْلَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ [المنحة : ٢١] .

فَقَالَ عُمرُ : دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبْ عُثْقَ هَذَا الْمُنَافِقِ . فَقَالَ : « إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا . وَمَا يُدْرِيكَ ؟ لِمَلِ اللَّهُ أَطْلَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ [المنحة : ٢١] .

لَأَنَّ أَهْلَ بَلَدٍ دَخَلُوا الْمَرْكَهَ بِلَدُونِ عُثَّةَ ، وَبِلَدُونِ اسْتِعْدَادِ ، وَمَعَ ذَلِكَ هَانَتْ نَفْسُهُمْ عَلَيْهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَكَانَ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ لَهُمْ : أَنْتُمْ عَصَلْتُمْ مَا عَلَيْكُمْ ، وَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ كُلَّ مَا تَفْعَلُونَهُ مِنَ السَّيِّئَاتِ (١) .

(١) أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ [٢٣٠٠٧] ، وَمُسْلِمٌ [٢١١٧/٢٤٩٤] وَاللَّفْظُ لَهُ : عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَافِعٍ - وَهُوَ كَاتِبُ عَلِيٍّ - قَالَ : سَمِعْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَهُوَ يَقُولُ : بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرُ وَالْعَدَادُ . فَقَالَ : « الْيَتِيمَا =

الإيمان وعمل الصالحات

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَصَلُوا الصَّالِحَاتِ سَنَدًا لَهُمْ جَنَّتِي تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَمْ يَمُوتْ فِيهَا فَنَازِعًا مَعَهُمْ وَلَا يَذُوبُهُمْ وَلَا ظُلُمًا لَهُمْ ۖ وَالسَّاءُ: ٢٥٧.

في هذه الآية يصف الحق سبحانه ثواب الذين آمنوا ، وفعلهم أن آخر موكب من مواكب الرسالة هو رسالة محمد ﷺ . إذن : فامة محمد ﷺ هي أقرب الأمم إلى لقاء الله . فالأهم من أيام آدم أخذت زمناً طويلاً ، لكننا نحن المسلمين قريبون من الساعة ، ولذلك يقول النبي ﷺ : « بعثت أنا والساعة كهاتين » (١) . ولذلك لم يقل الحق سبحانه في هذه الآية : سوف ندخلهم ، بل قال : ﴿ سَنَدًا لَهُمْ ﴾ ، أما مع الآخرين فاستخدم سبحانه « سوف » لأنها بعيدة ، أو أن هذا كناية وإشارة من الله لإمهال الكفار ليتوبوا ، وعندما يقرئنا سبحانه من الساعة ، فإنه يقرئنا بالطاعة ، فالساعة ليست بعيدة ، بل قريبة ، لذلك يعبر عنها : ﴿ سَنَدًا لَهُمْ جَنَّتِي تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ .

(١) جزء من حديث رواه أحمد في المسند ٣/ ٢٣١٩ عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه وقال الأثرناوط : إسناده صحيح على شرط مسلم .

إذن .. فالسابقون من المهاجرين هم أهل بدر ، وأهل المدينة ، أهل بيعة الرضوان الذين زدوا مع رسول الله ﷺ عن العبرة ، ثم عقد النبي ﷺ مع القرنيين المعاهدة . والسابقون من الأنصار هم من جاؤوا للنبي ﷺ في مكة ، وأعطوا له العزرة وأعطوا له الأمان والعهد ، وكانوا اثني عشر في بيعة العقبة الأولى ، وخمسة وسبعون في العقبة الثانية . هؤلاء هم السابقون .

وأضاف الحق إليهم : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بَاخِعِينَ ﴾ أي : من يأتي من بعدهم . ويتبعهم ويقفئ أثرهم ويلزم مستهم .

○○○

صلاة الله تعالى ورسوله ﷺ

قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالضَّالِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ۝ ﴾ النساء : ٦٩ .

والفعل هنا : يطع ، والمطاع هو : الله تعالى والرسول ﷺ ، أى : أن هذا الأمر تشريع الله مع تطبيق رسوله ﷺ ، أى : بالكتاب والسنة ، وساعة تجد الرسول معطوفاً على الحق بدون تكرار الفعل فاعلم أن المسألة واحدة .. أى : ليس لكل واحد منهما أمر ، بل هو أمر واحد ، قول من الله وتطبيق من الرسول ﷺ لأنه القدوة والأسوة ؛ ولذلك يقول الحق في الفعل الواحد :

﴿ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ يَخْلَوْنَ بِمَا كَرِهُوا وَمَا تَقْتَضُوا إِلَّا أَنْ تُغْنِيَهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَتْنِهِ فَاِنْ يُبْذَرُوا بِكُمْ حَيْرًا ۚ ﴾ ... (البقرة : ٢١٤ .

فما أغناهم الله غنى يناسبه وأغناهم الرسول ﷺ غنى يناسبه فالفعل هنا واحد .

فالتفتي هنا من الله ورسوله ؛ لأن الرسول لا يعمل إلا بإذن ربه وامتنالاً لأمره ، فتكون المسألة واحدة .

هناك قضية تعرض لها العلماء وهي قضية قد تشغل كثيراً من الناس الذين عاصروا رسول الله ﷺ فكان مجلسه ﷺ ولا يصرف عنه قادم ، يأتي فيجلس حيث ينتهي به المجلس ، فالذي يريد أن يرى النبي ﷺ دائماً يستمر في مجيئه ، والذي يريد أن يراه كل فترة يأتي كلما أراد ذلك . وكان ثوبان مولى رسول الله ﷺ شديد الحبيب لرسول الله ﷺ ، قليل الصبر عنه ، فأتاه يوماً ووجهه متغير وقد نحل وهرل جسمه ، وغرّف الحزن في وجهه ، فسأله النبي ﷺ : ما بك يا ثوبان ؟ فقال : والله ما بي مرض ولا علة ، ولكنني أحبك وأشتاق إليك ، وقد علمت أني في الدنيا أراك وقدما أريد ، لكنك في الآخرة ستذهب أنت في عليين مع النبيين ، وإن دخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك ، وإن لم أدخل فذاك حين لا أراك أبداً (١) .

(١) ونس الحديث كما رواه ابن جرير - بسنده - عن سعيد بن جابر قال : « يا فلان مالي أراك مجزئاً ؟ » فقال : يا نبي الله شيء فكرت فيه فقال : « ما هو ؟ » قال : نحن نقتل عليك =

القدس وعاد في ليلة ونحن نضرب إليها أكباد الإبل ، ماذا
قال أبو بكر ؟ قال : إن كان قال ذلك فقد صدق^(١) .

لم يمل صدقه إلا بـ ٥ إن كان قال ذلك ، فهذا هو
الصدق الحق ، فكلمنا قال محمد ﷺ شيئاً صدقه أبو بكر ،
وأبو بكر - رضوان الله عليه - لم ينتظر حتى ينزل القرآن
مصدقاً للرسول ﷺ بل بمجرد أن قال ﷺ : إني رسول ؛ قال
أبو بكر : نعم . إذن : فهو صدق .

(١) روى الحاكم في المستدرك ١٤٤٠٧-١٢/٣ عن عائشة رضي الله
تعالى عنها قالت لما أسرى بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى
أصبح يتحدث الناس بذلك فارتد ناس فمن كان آمناً له
وصدقوه وسعوا بذلك إلى أبي بكر رضي الله تعالى عنه
فقالوا : هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسرى به الليلية إلى
بيت المقدس ؟ قال : أو قال ذلك ؟ قالوا : نعم قال : لمن كان
قال ذلك لقد صدق قالوا : أو تصدقه أنه ذهب الليلية إلى
بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح ؟ قال : نعم إني لأصدقه
فيما هو أبعد من ذلك أصدقه بخير السماء في غدوة أو روحة
فلذلك سعى أبو بكر الصدق .
وقال الحاكم حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وراقه الذهبي .

انظر كيف يكون الحب لرسول الله ﷺ ، قاله سبحانه
وتعالى بلطف بجل هذا الحب الذي شغل ذهنه بأمر قد لا يطرأ
على بال الكثيرين ، فيقول الحق سبحانه وتعالى تطمينا لهؤلاء :
﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ أُنَى : المطيعون لله
والرسول ﴾ مَعَ الَّذِينَ آمَنُوا اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالضَّالِّينَ
وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيعًا ﴿ والمسألة جاءت
هنا خاصة بنوبان ، بعد أن نبه الأذهان إلى قضية قد تشغل بال
الخيرين لرسول الله ﷺ ، فأنت مع من أحيت .

ولكن الأمر لا يقتصر على نوبان . لقد كان كلام نوبان
سياً في الفتح والطمأنينة لكل الصديقين والشهداء والصالحين ،
وهي أوصاف تستوعب كل المؤمنين ، فأبو بكر الصدق ..
صدق لماذا ؟ لأنه هو المبالغ في تصديق كل ما يقوله رسول
الله ﷺ ، فعندما قالوا له : إن صاحبك يدعي أنه أتى بيت
= ونروح ننظر إلى وجهك ونجالسك ، وغدا ترفع مع النبيين فلا
نصل إليك ، فلم يرد عليه النبي ﷺ شيئاً فأتاه جبريل بهذه
الآية ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ آمَنُوا اللَّهُ
عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ ﴾ .. فبعث النبي ﷺ إليه فيشره .

والشهداء والصالحين . وقد تكون الصالحة تذكيرا لهم جميعا
ليأمنوا بالصحية ، وهذه المسألة ستشرح لنا قوله ﴿ وَتَزَيَّنَّا مَا
فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَيْبٍ ﴾ [الأعراف: ٤٤٣] .
وقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ الْفَصْلُ مِنْ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ

عَلِيمًا ﴾ [النساء: ٧٠] .

فالفضل من الله يستمد حيثيه من سعي الإنسان ، فقوله :
﴿ وَكَانَ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ حددت الحق الذي لك
والذي توجهه : عدالة التكليف ، لكن ربنا لم يقل : إن هذا
المعطاء لله من الحق والعدل ، بل هو من الفضل ، والفضل من
الله هو مناط فرح المؤمنين ؛ لأنك مهما عملت في التكليف
فلن تؤديه كما يجب بالنسبة لله ؛ ولذلك أوضح سبحانه لنا :
تنبهوا أنا كللتكم وقد تعملون وتجاهدون ، لكن لا تفرحوا بما
سيجعله هذا العالم من حسنات ، ولكن سيكون فرحكم بما
يعطيكم ربكم من فضله . قال سبحانه :

﴿ قُلْ يَعْزِمُ اللَّهُ يُغْفِرُ مَا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا
يَجْمَعُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٥٨] .

وذلك الفضل من الله يورد على من يقول : كيف يحيى

وقوله تعالى : ﴿ وَحَسِّنْ أَوْلِيَّكَ رَفِيعًا ﴾ ﴿ وَأَوْلِيَّكَ ﴾ تعنى
البنين والصديقين والشهداء والصالحين ، ولا توجد رقعة أفضل
من هذه ، والرفيق هو : المرافق لك دائما في الإقامة وفي السفر ،
ولذلك يقولون : خذ الرفيق قبل الطريق ، فقد تعرض في
الطريق لمناصب وعراقيل ؛ لأنك خرجت عن رقابة عادتك ،
فخذ الرفيق قبل الطريق .

إذن : فقوله : ﴿ وَحَسِّنْ أَوْلِيَّكَ رَفِيعًا ﴾ مأخوذة من
الرفق وهو : إدخال اليسر ، والأنس ، والراحة ، ويكون هذا
الإنسان الذي أطاع الله ورسوله بصحبة النبيين ، والصديقين
والشهداء ، والصالحين .

وقد يقول قائل : كيف يجتمع كل هؤلاء في منزلة واحدة ؛
على الرغم من اختلاف أعمالهم في الدنيا ، أليس الله هو
القائل : ﴿ وَكَانَ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ [النجم: ٣٩] .

ونقول : ما دام المؤمن أطاع الله وأطاع الرسول ، أليس ذلك
من سعيه ؟ فهذه الطاعة والنجية لله ورسوله هي من سعي العبد ؛
وعلى ذلك فلا تناقض بين الآيتين ؛ لأن عمل الإنسان هو
سعيه ، ويصير من حقه أن يكون في معية الأنبياء والصديقين

المجاهدين في سبيل الله بأموالهم وانفسهم

قال الله تعالى : ﴿ قَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُمِيتْ أَوْ يُقَاتِلْ فَسَوْفَ نؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٧٤] ومادة : « شرى » ومادة « اشترى » كلها تدل على التبادل والتعاضد ، فأنت تقول : « أنا اشتريت هذا الثوب بدرهم » أى : أنك أخذت الثوب ودفعت الدرهم « وشرى » تأتى أيضاً بمعنى : « باع » مثل قوله الحق : ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ [يوسف : ٢٠] . إذن : « ف » و « شرى » من الأفعال التى تأتى بمعنى البيع وبمعنى الشراء ؛ لأن المبيع والمشتري يتماثلان فى القيمة ، وكان الناس قديماً يعتمدون على المقايضة فى السلع ، فلم يكن هناك فقد متداول ، وكان هناك من يعطى بعض الحب ويأخذ بعض النمر ، فواحد يشتري النمر وآخر يشتري الحب ، والذي جعل المسألة تأخذ صورة شراء وبيع ، هو وجود سلع تباع بالمال . وما الفرق بين السلع والمال ؟ السلة هي رزق مباشر والمال رزق غير مباشر .

« ثوبان » أو من دون « ثوبان » ويكون فى الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، ونقول : لو لم تكن منزلته أدنى لما كان فى ذلك تفصل ، إنه ينال الفضل بأن كانت طاعته لله ولرسوله فوق كل طاعة ، أما جبه الله وللرسول ، فهذا من سعيه وصله بتوفيق الله له - وما توفيقى إلا بالله - والفضل هو مناط فرح المؤمن ، ﴿ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ﴾ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿ ونحن نرضى ونفرح ونكتفى بعلم الله ؛ لأنه سبحانه يوجب أحكامه على علم شامل ومحيط ، ويعرف صدق الحب القلبي وصدق الوداد ، وصدق تقدير المؤمن لمن زاد عنه فى المنزلة .

○○○

ما الذى يجب أن يضحى به فى سبيل الآخر ؟
والحق سبحانه قد وصف الحياة بأنها « الدنيا » ولا يوجد
وصف أدنى من هذا ، فبئس المسألة : إنك ستمطى الدنيا وتأخذ
الآخرة ، فإذا كان الذى تأخذه فوق الذى تعطيه فالصفقة -
إذن - رابحة ، فاللدينا مهما طالت فإلى نهاية .

إذن : قيمة الدنيا هى : مقدار صورك فيها ، ومقدار صورك
فيها مضمون .

ولماذا يدخل الله العبد فى عملية البيع هذه ؟ لأن الحق
سبحانه وتعالى قبل أن يعرض عليك الصفقة لدخول فى عملية
البيع التى تجهذك إن لم تقتل أو تقتل فى سبيل الله لا بد أن
يوضح لك كيفية النفاة التى تأخذ بها الفوز فى الآخرة ، ولن
تأخذ هذا الفوز بالكلام فقط ، ولكن انظر إلى المنهج الذى
ستقاتل من أجله ، إنه تأسيس المجتمع الذى يؤدى كل امرئ
فيه الأمانة

إذن : فلكي نحصى المجتمع لا بد أن تؤدى الأمانة وأن نقيم
العدالة . ومن قبل ذلك أمرنا أن نعيد إليها واحداً فلا نشئت ،
ثم أوصانا بالوالدين والأقربين ، واليتامى والمساكين .

فالمشترى يعطى ثمناً يأخذ سلامة ، والحق سبحانه وتعالى يقول :
﴿ فَلْيَقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ﴾ [النساء : ٧٤] .

فاللوم من هنا يعطى الدنيا ليأخذ الآخرة التى تشمل فى الجنة
والجزاء ، ومنزلة الشهداء ؛ ولذلك يقول الحق سبحانه فى آية
أخرى ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ
بِأَنْتَ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَدِّمُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ
وَيُقْتَلُونَ وَصَدَّقَ عَلَيْهِمْ حَتَّى فِي النُّورِ بَنِيهِ وَالْإِنجِيلِ
وَالْغُرُثِ إِنَّ مِنْ أَوْلَى بِمَهْدِهِمْ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَشِيرُوا
بَيْنَكُمْ الَّذِينَ بَالِغُكُمْ بِهِ ﴾ [التوبة : ١١١] .

تلك هى الصفقة التى يعقدها الحق سبحانه وتعالى مع
المؤمنين ، وهو سبحانه يريد أن يعطينا ما نعرف به على
الصفقات المربحة ، فكل منا فى حياته يجب أن يعقد صفقة
مربحة بأن يعطى شيئاً ويأخذ شيئاً أكبر منه ؛ ولذلك يقول سبحانه
فى آية أخرى ﴿ بَرِّجُونَ حِجْرًا لَّنْ كَبُورًا ﴾ [فاطر : ٢٩] .
هنا أيضاً تجارة ، وأنت حين تريد أن تعقد صفقة عليك أن
تقارن الشئ الذى تعطيه بالشئ الذى تأخذه ثم افرق بينهما ،

التي تنشأ بين معسكر الإيمان ومعسكر الكفر ، والمقاتل من معسكر الإيمان يقول لمعسكر الكفر : أنا أقاتل لإحدى الحسينين : وأما أن أقتل فأصبح شهيداً أخذ حياة أفضل من هذه الحياة ، وأما أن أنتصر عليك ، فلماذا تترهبون بنا أيها الكفار ؟

ولقد رأى رسول الله ﷺ الذين يقاتلون في سبيل الله وعرض عليه حالهم في ليلة الإسراء والمعراج ، فقد رأى النبي ﷺ جماعة يزرعون ويحصدون بعد البذر مباشرة ؛ لأن الذي قتل في سبيل الله إنما فعل ذلك إعلاء لكلمة الله ، فلا ينتهي قطعه أبداً للخير الذي بذله ، وحياته مستمرة في حياة الملايين (١) .

والحق سبحانه يقول : ﴿ وَمَنْ يُقْتَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُحْيِلْ اللَّهُ أَمْلاً أَوْ يَقْتُلْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ۖ إِنَّهُ سبحانه يطيل أمد العطاء . انظروا دقة الأداء القرآني ؛ لأن الذي يتكلم هو الله ،

(١) ذكر الحافظ في الفتح ٢٢٠٠ / ٧٦ وعزاه للطبراني والبخاري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه : قال : « مر رسول الله ﷺ يقوم يزرعون ويحصدون ، كلما حصدا عاد كما كان ، قال جبريل : هؤلاء الجاهلون » .

إن مثل هذا النهج الذي يكفل أمان الجميع يستحق أن يدافع الإنسان عن تطبيقه . وقبل أن يفرض علينا القتال بين الحق سبحانه : هذا هو الجميع الذي سقاتلون من أجله ، واعلم أنك ساعة تذهب إلى القتال ، أقصى ما فيها أن تقتل ، فستأخذ صفقة الآخرة ، وقصرت مسافة غايتك ؛ لأن كل شيء إنما يقاس بوزن النجاة له ، فإن قتلت فقد قصرت المدة للوصول إلى النجاة .

والحق سبحانه يقول : ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۚ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُحْيِلْ أَوْ يَقْتُلْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ۖ إِنَّهُ سبحانه عليم . ٢٧٤ .

وسبحانه حينما يقول : ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَإِنَّ اللَّهَ لَهُ الْإِلَهَ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . بلدنا على أن هناك قتالاً في غير سبيل الله ، كان يقاتل الرجل حمية ، أو ليُعَلِّم مكانه من الشجاعة ، فقتل الرجل دائماً حسب نيته .

إذن : فالذي يقاتل في سبيل الله هو أمام أمرين : إما أن يقتل من الأعداء وإما أن ينتصر ، وهذه هي القضية الجدلية

يصنع آخر لا تكون صفته في قوة الشاب أو قوة الرجل ، فإذا كان الذي يعطى الأجر مثلاً لك فسيطيك أجراً على قدره ، لكن إذا كان من يعطى هو ربنا ، فسيطى الأجر على قدره ، ولا بد أن يكون عظيماً ، والأجر هو الشيء المقابل للمنة .

وهناك فرق بين الأجر والثمن ؛ فالثمن مقابل العين ، أما الأجر فهو مقابل المنفعة ، أنا اشتريت هذه ، فهذا يعنى أنى دفعت ثمناً ، لكن إن استأجرت شيئاً فهو لصاحبه ولكن أخذته لأنفع به فقط ، وجزاء الحق لمن يقتل في سبيل الله ، أهر أجر أم ثمن ؟ وناقت هنا إلى أن الحق قد بين : أنا لم أؤمن من قتل ، بل نظرت لعمله ، وجهاده واستشهاده وأعطيته ﴿ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ . ويقول الحق سبحانه : ﴿ فَوَيْحٌ يَمَّا بَأْتَنَّهُمُ اللَّهُ مِنْ قَٰصِمِهِ ﴾ رآك صورك : ٢١٧٠ .

والعمل يتحقق بين البشر بأن كلأ منهم يموت ، ولكن الفضل أن يعجل الله انقضاء الحياة في الدنيا لمن يحبهم بالاستشهاد وينقلهم إلى رضوانه ونعيمه ﴿ فَوَيْحٌ يَمَّا بَأْتَنَّهُمُ اللَّهُ مِنْ قَٰصِمِهِ ﴾ وليس هذا فقط ، بل إننا نجد الآخرة الإيمانية

ولتر كيفية ترتيب فعل على فعل ، فحين أقول لك : و احضر لى أكرمك ، فبمجرد الحضور يحدث الإكرام ، ولكن إن قلت لك و إن حضرت إلى فسأكرمك ، فهذا يعنى أن الزمن ممتد قليلاً ، فلن نكرم من فور أن تأتى ، بل أنت تحضر عندى ، وبعد ذلك بفترة بسيرة يحدث الإكرام .

وان أردت أنا أن أطيل الزمن أكثر فأنى أقول : و إن حضرت إلى فسوف أكرمك ، إذن .. فتحن أمام ثلاث مراحل لترتيب الجزاء على الفعل : جزاء يأتى من فور حصول الشرط ، وجزاء يأتى بعد زمن يسير تؤديه و السنين ، وجزاء يأتى بعد زمن أطول تؤديه و سوف .

ولم يقل الحق سبحانه : من يقاتل في سبيل الله ثوته أجراً عظيماً ، ولم يقل : فسؤتيه أجراً عظيماً ، ولكنه قال : ﴿ فَسَوْفَ يُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ وهذا القول سيقى ليوم القيامة ؛ لذلك كان لا بد أن تأتى و سوف ، هنا ، وهذا دليل على أنه جزاء موصول لا مقطوع ولا ممنوع .

وقوله سبحانه ﴿ يُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ يلفتنا إلى أن كل فعل إنما هو حدث يتناسب مع فاعله أثراً وقوة ، فالطفل عندما

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « لما أصيب إخوانكم يوم أحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ذهب في ظل العرش ، ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لهذا وحسن فضلهم قالوا : ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله - عز وجل : أنا يزهروا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب . فقال الله - عز وجل : أنا أبغهم عنكم ، فانزل الله هذه الآيات : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتُوا بَلْ أَحْيَاةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَوِّدُونَ ﴾ وما بعدها ^(١) .

ونعرف أن « البشتر » عادة هو الفرح ، وهي تبدو على بشرة الإنسان ، فساعة يكون الإنسان فرحاً ، فالفرحة تظهر وتشرق في وجهه ، ولذلك نسميها « البشارة » ؛ لأنها تصنع في وجه المبشّر شيئاً من الفرح مما يعطيه بريئاً ولعناً وجاذية . ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتُوا بَلْ أَحْيَاةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَوِّدُونَ ﴾ أي : أن الذين تخلفوا عن الشهادة لا خوف ولا هم يتخزئونك .

(١) رواه أحمد في المسند [٢٦٦/١] وأبو داود [٢٥٢٠] عن ابن عباس = [١٢١/١٨٨٧] رضى الله تعالى عنهما وأخرج مسلم [١٨٨٧/١٢١] =

قد بقيت فيهم وليست كخاصية الأحياء بل أنتى وأبقى من خاصية الأحياء ، فالخاصية الإيمانية تقتضى أن يحب المؤمن لأخيه ما يحب لنفسه ^(١) ، والشهداء في حياتهم عند ربهم كذلك ، مما يدل على أن الحياة التي يحيها الشهداء هي حياة نامية فيها رزق وموажيد وفرح ، وكل شهيد يعتبر أن هذا فضل من الله تعالى قد فضله به ؛ ولذلك فالشهيد يستبشر بالذي لم يأت من بعده من إخوانه المؤمنين ، ويقول : يا ليتهم يأتون ليروا ما نراه . ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتُوا بَلْ أَحْيَاةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَوِّدُونَ ﴾ والبشرى هي الخبر السار ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتُوا بَلْ أَحْيَاةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَوِّدُونَ ﴾ ولحقوا أى : يأتوا بعدهم ، فالشهداء يقولون : إنهم سيأتون لنا وما داموا سيأتون لنا فنحن نحب أن يكونوا معنا في النعيم والخير الذي نجيا فيه . وكل منهم يشعر بالحنية لأخيه ، لأنه يعلم قول الرسول ﷺ « لا يكمل إيمان أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه » ^(٢)

(١) أخرجه البخاري [١١٣] ومسلم [٣٧١/٤٥] عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه » .

(٢) سبق تخريجه .

كافل اليتيم

أخرج البخاري [١٠٠٠هـ] ومسلم [٢٩٨٦: ٤٢٢] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا » وقال : « بإصبعه السبابة والوسطى » .

قال الحافظ في الفتح [١٦ / ٤٩] « قال شيخنا في « شرح الترمذي » لعل الحكمة في كون كافل اليتيم يشبه في دخول الجنة أو شبهت منزلته في الجنة بالقرب من النبي أو منزله النبي لكون النبي شأنه أن يعث إلى قوم لا يقتلون أمر دينهم فيكون كافلاً لهم ومعلماً ومرشداً ، وكذلك كافل اليتيم يقوم بكفالة من لا يعقل أمر دينه بل ولا دنياه ، ويرشده ويعلمه ويحسن أدبه ، فظهرت مناسبة ذلك » اهـ ملخصاً .

○○○

عليهم ؛ فهو لاء الذين لم يستشهدوا بعد قد يخوضون معركة ما ، فيقول الحق سبحانه على لسان الشهداء لكل منهم : لا تخف لأنك ستذهب لحير في الحياة ﴿ أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .

○○○

= والترمذي [٣٠١١] وابن ماجه [٢٨٠١] عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه .

قول أهل الجنة عند دخولهم الجنة

يحمد أهل الجنة الله سبحانه وتعالى على أن هداهم للإيمان والإسلام ، ويسر لهم اتباع تكاليفه ومنهجه لذلك ، فأول قول يقولون ساعة يعانوا فضل الله تعالى عليهم هو: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ والأعراف: ٢٤٣ . ونحن نقول الحمد لله في الدنيا شكراً لله على نعمه ، ونقولها في الآخرة لأن الشكر سيكون أكبر ، لأن الأشياء ستأتينا بمجرد أن ترد على خاطرنا ، ولأن نعم الله لا تعد ولا تحصى ، والحمد لله هنا أنه قد أنزل إلينا المنهج الذي عملنا به لنصل إلى هذا النعيم ، والذي أعاننا على طريق الإيمان ، والحمد لله الذي أرسل لنا رسوله لتهدينا إلى الطريق .

○○○

المساعي على الأرملة والمسكين

أخرج البخاري ٦٦٠٠٦٦ ومسلم ٢٤١٢/٢٨٢٦ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « المساعي على الأرملة والمسكين كالجihad في سبيل الله أو كالذي يصوم النهار ويقوم الليل »

قال النووي في شرح مسلم ٢٣٢٩/٩٦ قوله ﷺ « المساعي على الأرملة والمسكين كالجihad في سبيل الله » المراد بالمساعي الكاسب لهما ، العامل لثقتهما ، والأرملة من لا زوج لها ، سواء كانت تزوجت أم لا ، ونيل : هي التي فارقت زوجها ، قال ابن قتيبة : سميت أرملة لا يحصل لها من الإرمال : وهو الفقير ، وذهاب الزاد بفقد الزوج ، يقال : أرمل الرجل إذا فنى زاده . قوله ﷺ كافل اليتيم : القائم بأموره من نفقة وكسوة ونأديب وتربية وغير ذلك ، وهذه الفضيلة تحصل لمن كفله من مال نفسه ، أو من مال اليتيم بولاية شرعية .

○○○

تحية اهل الجنة

قال الله تعالى : ﴿ دَعْوَتُهُمْ فِيهَا مُبَشِّرَةٌ ﴾ اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ وَسَلِّمْ دَعْوَتُهُمْ فِي الْغَنَةِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ [ابن عباس: ٢١٠].
دعواهم : أى دعائهم .

وحل الآخرة دار تكليف ؛ حتى يواصلوا عبادة الله ؟ لا ، ولكنها شكر للمنعهم .

فكلما رأوا شيئاً يقولون : لقد أكلنا ذلك من قبل ، ولكنهم يعرفون حين يأكلون ثمار الجنة أن ما فى الأرض كان يشبه تلك الثمار ، لكنه ليس مثلها .

ولذلك ﴿ قَالُوا هَذَا الَّذِى كُنَّا نُرِثُكَ مِنْ قَبْلُ وَأَنُورَا بِهِ مِنْهَا ﴾ [البقرة: ١٢٥] .

وقولهم : ﴿ مُبَشِّرَتِكَ اللَّهُمَّ ﴾ اعترافاً بالنعمة ، وأنت حين ترى شيئاً يجعلك تقول : سبحانك يا رب . وبعد أن تأتى لك النعمة وتقول : سبحان الله ، وتفتاحاً بأشياء لم تكن فى الحسبان ، من فوط جمالها ؛ فتقول : الحمد لله .

إذن .. فأنت تستقبل النعمة و بسبحان الله ، ، وتعيش

النعمة و بالحمد لله ، ولذلك يقول الحق سبحانه : ﴿ وَنَايِزُ دَعْوَتِهِمْ إِلَى الْغَنَةِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ والذي يجعل للحياة الدنيا معنى ، ويجعل لها طمناً ويجعل لها استقراراً ، أن يكون الإنسان فى سلام .

ومعنى السلام : الاطمئنان والرضا ؛ فلا بعضها ببعض مبهجات ، ولا منفصات ، ولا يأتى ذلك إلا بعلم اصطلاحام ملكات النفس بعضها ببعض ؛ فيتحقق سلام الإنسان مع نفسه ، و سلام الإنسان مع أهله ، وهذا هو المحيط الثانى ، و سلام الإنسان مع قومه ، و سلام الإنسان مع العالم كله ، ولا ذلك سلام ، أى : لا منقص من نفسه ، ولا من أهله ، ولا من قومه ، ولا من العالم . وكلما اتسعت رقة السلام زاد إحساس الإنسان بالاطمئنان .

وحين يقول الحق سبحانه : ﴿ وَتَعَبَّتْهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾ ، فالسلام وارد فى أشياء متعددة ، والحق سبحانه يقول فى آية أخرى : ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَّهُمْ ﴾ ﴿ [س: ٢١] ﴾ وَتَزِينُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرْبَابِ مُتَكَبِّرُونَ ﴿ [س: ٢١] ﴾ سَلَامٌ تَأْتِيهِمْ دَعْوَتُهُمْ ﴿ [س: ٢١] ﴾ سَلَامٌ تَأْتِيهِمْ دَعْوَتُهُمْ ﴿ [س: ٢١] ﴾ .

وهذا ما قاله رسول الله ﷺ : « يطلع عليكم ادب ربى »
 أهل الجنة ، فيدخل رجل معروف إلى أصحاب رسول الله
 ﷺ فلما انصرف ؛ قام واحد من الصحابة ، وذهب إلى
 الرجل ؛ ليعلم ماذا يصنع ، وبات عنده ليله ليطالع على أمره ،
 ليجتهد أن يكون مثله ، فوجد الرجل نام بعد المشاء ولم يقم
 الليل ، ولم يقرأ ، ولم ... ولم ... غير أنه إذا تقلب في فراشه
 ذكر الله وحمده ، فلما أصبح الصباح سأله : ماذا فعلت حتى
 بشرك الرسول ﷺ بالجنة ؟

قال الرجل : إني لأصلي كما تصلون ، وأصوم كما
 تصومون ، وأزكي كما تزكون ، ولكني أبيت وما في قلبي
 غل لأحد من المسلمين ^(١) .

(١) روى أحمد في المسند [١٦٦/٣] عن أنس بن مالك رضى الله
 تعالى عنه قال : كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ فقال : « يطالع
 عليكم الآن رجل من أهل الجنة » . فطلع رجل من الأنصار ،
 تنطف لحية من وضوئه ، قد تعلق نعليه في يده الشمال ، فلما
 كان الغد ، قال النبي ﷺ مثل ذلك ، فطلع ذلك الرجل مثل المرة
 الأولى ، فلما كان اليوم الثالث قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضاً ، =

وهذا هو السلام الذي له معنى ؛ فهو سلام من الله . ولم
 يقل سبحانه : إنه سلام يورثك اطمئناناً ونفساً راضية فقط ،
 بل هو سلام بالقول من الله ، وانظر .. أى سعادة حين
 يخاطبك الحق سبحانه وتعالى بدون ترجمان بل بلغة تفهمها ؟ .
 وهناك فرق بين أن يشيع الله فيك السلام وبين أن يحييك
 سبحانه بالسلام . وهذا هو السبب في قوله : ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ
 رَبِّي رَحِيمٌ ﴾ [س : ٥٨] .

وهذا سلام الله ، ثم من بعد هذه الميزة يأتي سلام الملائكة :
 ﴿ ... وَاللَّيْلِ كِتَابٌ يَدْعُونَكَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴾ سَلَامٌ
 عَلَيْكَ ... ﴿ [الرعد : ١٥] .

إذن .. فقول الحق هنا : ﴿ وَنَحْيِيهِمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾ نجد فيه
 كلمة السلام رمز الرضا والاستقرار في الجنة ؛ فالسلام هو أول
 الأحاسيس التي تحبها في نفسك ، ولو كان الناس كلهم
 ضحك . لكنك ساعة تستقر ، فأنت تسأل نفسك : ماذا
 فعلت ليكون البعض ضدي ؟ وحين تجيب نفسك : « إني لم
 أفعل إلا الخير » ؛ فأنت تحس السلام في نفسك . وإذا ما
 رحب الآخرون بما تفعل ، فالحياة تيسر ، بلا ضد ولا حقد ،

○○○

هذا هو السلام النفسى ، وإذا ما وصل الإنسان إلى السلام مع النفس ؛ فلا يخشى الدنيا وما فيها . ومن عنده سلام مع نفسه ،
وسمع بيته ، وسمع مجتمعه ؛ فيهبه الله سلاماً من عنده .

= فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى ، فلما قام النبى ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقال : انى لاجيت أبى ، فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثاً ، فإن رأيت أن تؤوبنى إليك حتى تقضى فملت . قال : نعم .

قال أنس : وكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالى الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئاً غير أنه إذا تآثر وتقلب على فراشه ذكر الله عز وجل وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر . قال عبد الله : غير أبى لم أسمعه يقول إلا خيراً .

فلما مضت الثلاث ليالٍ وكدت أن أحقر عمله . قلت : يا عبد الله ، انى لم يكن بينى وبين أبى غضب ولا هجر ثم ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرار : « يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة » ، فطلعت أنت الثلاث مرار ، فأردت أن آوى إليك لأنظر ما عملك فأفندى به ، فلم أرك تعمل كثير عمل ، فما الذى بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ ؟ فقال : ما هو إلا ما رأيت ؟ قال : فلما رأيت دعائى . فقال : =

= ما هو إلا ما رأيت ، غير أبى لا أبجد فى نفسى لأحد من المسلمين غشاً ، ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه . فقال عبد الله : هذه التى بلغت بك وهى التى لا نطق . وقال الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

نساء اهل الجنة

يقول الله تعالى : ﴿ وَكَانَ فِيهَا أَنْزَارٌ مُمْلَكَةٌ وَهَمَّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

الزوجة هي متعة الإنسان في الدنيا إن كانت صالحة ، والمنغصة عليه حياته إن كانت غير صالحة .

وهناك منغصات في الدنيا تستطيع أن تضعها المرأة في حياة زوجها تجعله شقيًا في حياته ، كأن لا تسمع لقوله ، وتكون سليطة اللسان ، أو دائمة الشجار ، أو لا تعطى اهتمامًا لزوجها ، أو تحاول إثارته بأن تجعله يشك فيها مغلًا .

أما في الآخرة فتزول كل هذه المنغصات بأمر الله تعالى . فالزوجة في الآخرة مطهرة من كل ما يكرهه الزوج فيها ، وما لم يحبه في الدنيا يحنفى . فالؤمنون في الآخرة مطهرون من كل نقائص الدنيا ومتاعبها وأولها النمل ، والحد ، وأقرأ قوله جل جلاله : ﴿ وَنَزَّلْنَا مَا فِي صُُورِهِمْ مِن عَلٍ إِخْرَافًا عَلَى سُرُورٍ مُنْقَلَبِينَ ﴾ [الحجر: ٢٤٧].

فمقاييس الدنيا ستحنفى وكل شيء تكرهه في الدنيا لن

تجده في الآخرة ، فإذا كان أى شيء قد نفص عليك حياتك في الدنيا فإنه سيحنفى في الآخرة ، والحق تبارك وتعالى ضرب المثل بالزوجات لأن الزوجة هي متعة زوجها في الدنيا ، وهي التي تستطيع أن تحيل حياته إلى جحيم ؛ أو تجعلها نعيم . وقوله تعالى : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَنْزَارٌ مُمْلَكَةٌ ﴾ [الاعرن: ١١٥] إنه الخلود الذي لا يفنى ، ولا يتركه الإنسان ولا يترك هو الإنسان .

والأزواج المطهرة هي وعد من الله للمؤمنين ، ومعلوم أن المرأة في الدنيا بطراً عليها أشياء قد تنفر ، إما خلقاً نكروياً ، وإما خلقاً ، فهناك وقت لا يجب أن يقرب فيه الرجل المرأة ، وقد يكون فيها خصلة من الخصال السيئة فيكره الإنسان جمالها .

لذلك فالرجل قد يتخددع بالمظهر الخارجى للمرأة في الدنيا ، وقد يقع الإنسان في هوى امرأة فيجد فيها خصلة يكرهها ، أما في الآخرة فالأمر مختلف ، هناك ﴿ وَأَنْزَارٌ مُمْلَكَةٌ ﴾ أى : مطهرة من كل عيب يعيب نساء الدنيا . وقوله : ﴿ وَأَنْزَارٌ مُمْلَكَةٌ ﴾ ، من الذى طهرها ؟ إنه هو

الاحور العين*

عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : و لرجلة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها ، ولقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قيد ، يعني : مسوطه خير من الدنيا وما فيها ، =

(*) قال ابن القيم : والخور جمع خوزاء وهي المرأة الشابة الحسناء

الجميلة البيضاء شديدة سواد العين .

والصحيح أن الخور مأخوذ من الخور في العين وهو شدة

ياضها مع قوة سوادها فهو يتضمن الأمرين .

وفي الصحاح : الخور شدة ياض العين في شدة سوادها ،

امرأة خوزاء تينة الخور .

ومن محاسن المرأة : اتساع عينها في طول ، وضيق العين في

المرأة من العيوب .

ويستحب السعة منها في أربعة مواضع : وجهها وصدرها

وكاملها وهو ما بين كفيها وجهتها .

ويستحسن اليأس منها في أربعة مواضع : لونها ورفقها =

ورفقاها ويأس عينها .

الله سبحانه وتعالى طهرها خلقاً وخلقاً . فالرجل في الدنيا قد يهوى امرأة ، وتستمر نضارتها فترة من الزمن مثلاً تستميه ويجذبه ، ثم تبدأ التجاعيد والترهل ومن ثم التناثر .

أما في الآخرة فالمرأة مطهرة من كل شيء ، وتظل على نضارتها وجمالها ، أليس هذا تمييزاً للخير ؟

○○○

= وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في قوله تعالى : ﴿ كَاتِبِينَ الْآثَارِ وَالْمَرْحَاتِ ﴾ [الرحمن : ٥٨] قال : و ينظر إلى وجهه في خدنها أصغى من المرأة ، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضئ ما بين المشرق والمغرب ، وأنه ليكون عليها سبعون ثوباً ينفذها بهمه حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك .

○○○

= ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلمت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما وللمتة ريحاً ، ولنصفقها على رأسها خير من الدنيا وما فيها^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والتي تليها على أضوا كوكب ثرى في السماء ، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم ، وما في الجنة أعزب^(٢) .

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « للرجل من أهل الجنة زوجتان من حور العين ، على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب^(٣) .

= ويستحب السواد منها في أربعة مواضع : عينا وحاجبيها وهدبها وشعرها .

(١) أخرجه البخاري [٢٧٩٦] .

(٢) أخرجه البخاري [٣٢٤٦] ، ومسلم [١٤/٢٨٢٤] واللفظ له .

(٣) رواه أحمد [٣٤٥/٢] ، وقال الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم .

اناس يقادون إلى الجنة بالسلاسل !

يقول رسول الله ﷺ : « عجب ربنا عز وجل من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل » (١) .

فكيف يقاد الإنسان إلى الجنة رخصاً عنه ؟ نقول : إن هذا الحديث يشمل عدة طوائف قيدت إلى طريق الإيمان وهي كارهة . ثم ذقت حلاوة الإيمان فانطلقت في الطريق إلى آخره ، وأول من ينطبق عليه هذا ؛ هم أسرى الحرب من الكفار أو من غير المسلمين ، تم أسرهم أثناء القتال فانقادوا بالسلاسل إلى معسكرات الأوسرى ، انقادوا وهم كارهون ، وفي خلال إقامتهم بهذه المعسكرات أتيحت لهم الفرصة للنظر في قضية الإيمان بعيداً عن أى تأثير آخر . فجلسوا يفكرون ويناقشون ويستسمعون فاقنعوا بهذا الدين وآمنوا ، وجذبهم الإيمان فدرسوا الدين فازدادوا إيماناً وصلاح عملهم

(١) رواه أبو داود [٢٦٧٧] عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه ، وصححه الألبانى في صحيح أبى داود [٢٢٣٠] ، وعنه عند البخارى [٢٠١٠] ، عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل .

فأصبحوا من أهل الجنة ، أولئك كانت بداية اتجاههم إلى الإيمان وبداية طريقهم إلى الجنة ، أنهم انقادوا بالسلاسل ، فكأنهم لو لا هذه السلاسل التى وضعت فى أيديهم وأرجلهم ما كانوا قد اتجهوا إلى الإيمان ولا دخلوا الجنة .

وهناك فئة ثانية ينطبق عليها الحديث الشريف وهم كل من يذهب مضطراً إلى مجالس العلم ومجالس الذكر ، فلتفرض أن هناك رجلاً أعشى وله ابن ، والرجل يريد أن يذهب إلى المسجد وأن يصلى وأن يستمع إلى الأحاديث الدينية إلى آخر ذلك ، ولذلك فإنه يأخذ ابنه معه ليدله على الطريق ذهاباً وإياباً ، ويضطر الابن إلى أن يذهب مع أبيه وهو غير راضٍ ، فكأنه يقاد رخصاً عنه ثم تقضى فترة ، فإذا بهذه المجالس الدينية تجذب الابن تجاه الدين ، ويحس أنه يريد أن يعرف أكثر فيقرأ ويتبع المنهج ويزداد إيماناً .

إذن .. هو فى البداية انقاد إلى الجنة رخصاً عنه وكأنه يقاد بالسلاسل ، ثم بعد ذلك مضى فى الطريق وأجيب الطاعة وأخلص لله ، وعلى أية حال فإن أى إنسان بدأ الطريق إلى الله وهو غير راضٍ إنما كان مضطراً ، ثم هداه الله إلى

فينادى صوته : إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعنا إلى النار ، فيقول آدم : وما بعث النار ؟ فيقال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون ^(١) .

(١) أخرجه البخاري [٣٣٤٨] ، ومسلم [٣٧٩/٢٢٢] واللفظ له عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الله عز وجل : يا آدم ! فيقول : لبيك ! وسعديك ! والخير في يديك ! قال : يقول : أخرج بعث النار . قال : وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين . قال : فذلك حين يمشي الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد » قال : فاشتد ذلك عليهم . قالوا : يا رسول الله ! أيتنا ذلك الرجل ؟ فقال : « أبتروا . فإن من بأجوج وأجوج ألفا . وسكنم رجل » قال : ثم قال : « والذي نفسي بيده ! إنني لأطمع أن تكونوا ربع أهل الجنة ، فحمدنا الله وكبرنا . ثم قال : والذي نفسي بيده ! إنني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة ، فحمدنا الله وكبرنا . ثم قال : « والذي نفسي بيده ! إنني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة ، فحمدنا الله وكبرنا . ثم قال : « والذي نفسي بيده ! إنني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة . إن ملككم في الأمم كمثل الشجرة البيضاء في جلد الثور الأسود » أو كالعقمة في خراج الجمار » في الآية

الإيمان فإنه يكون من الذين انتقدوا إلى الجنة بالسلاسل .
ولسائل أن يسأل : هل يدخل الجنة من لا عمل صالح له ؟
نقول : نعم ، هناك من سيدخل الجنة ولا عمل له ، فلنفرض أن رجلاً آمن وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، شهادة خالصة مخلصه ليس فيها رياء ولا نفاق ، ولكن فيها صدق الإيمان ، وبعد أن شهد الرجل بهذه الشهادة انتهى أجله ، مات أو صدمته سيارة أو نزل فوق رأسه حجر ، فإنه يدخل الجنة ، لأن شهادته أن لا إله إلا الله تجب ما قبلها ، ولقد كان مخيرق أحد أجبار اليهود ثم هداه الله فطلق بالشهادة وأعلن إيمانه ، وقبل أن يدخل المعركة قال : أعطوا مالي لحمد ، ثم دخل المعركة فاستشهد ، ولم يحصل لله ركعة واحدة ، ولكنه قبل أن يموت آمن ونطق بالشهادتين ، وعندما بلغ أمره لرسول الله ﷺ قال : « مخيرق يقيم يهود » ، على الرغم من أنه لم يحصل ركعة واحدة لله فقد دخل بإيمانه الجنة .

وقد ورد أن أهل الجنة بالنسبة لأهل النار سيكونون بنسبة واحد إلى ألف ، فقد جاء في الحديث القدسي : « يقول الله عز وجل يوم القيامة : يا آدم . فيقول : لبيك ربنا وسعديك .

رؤية الله تعالى في الجنة

قال سبحانه وتعالى : ﴿ ثُمَّ يُدْخِلُكَ رَبُّكَ تَابُوتًا ۚ الْقَابِئَةُ ۚ ﴾ [البقرة ٢].

المؤمنون في الجنة لن يتمتعوا في الآخرة لضرورة الحاجة للمتعة ، بحيث إذا ما جاءت النعمة فرحوا بها ، إن الأمر لا يقتصر على ذلك وإنما يتعداه إلى أنكم -أيها المؤمنون- سيكون قمة طلبكم ، وأعظم نعمة عليكم أن تزوا بالنعم سبحانه ، فمادام المؤمن الذي يدخل الجنة يجد كل ما يشتهي بل إنه لا يشتهي شيئاً إلا وبأنيبه ، فهو يستمتع بقدر عطاء الله اللانهائي وقدراته سبحانه المطلقة .

ومن المؤمنين من يتطلع إلى أكثر من ثمار الجنة ، وما فيها من نعم ، ويكون مشغولاً بطلب رؤية ربه سبحانه وتعالى ، ذلك المؤمن مكانه جنة من الجنان اسمها : ﴿ عِلِّيُّونَ ﴾ و ﴿ عِلِّيُّونَ ﴾ هذه ليس فيها شيء مما تسمعه عن الجنة ، ليس فيها إلا أن تلقى الله . إن الرزق والنعم ليسا من أجل قوام الحياة في الجنة ، بل إن الإنسان سيكون له الخلود فيها بفضل الله تعالى وعظمته ، فالذي يحتاج إليه الإنسان من أجل نعيم أجل

وأعلى هو : رضوان من الله سبحانه وتعالى .

إن رضوان الله أكبر من كل شيء . ولقد نبأنا الله بما في الجنات من نعيم عظيم ، ونبأنا سبحانه بما هو أعلى من كل ذلك . لقد نبأنا الله بأن رضوانه الأكبر هو أن يضمن المؤمن أن يظهر برؤية ربه . وهذا ما يقول فيه الله سبحانه : ﴿ ثُمَّ يُدْخِلُكَ رَبُّكَ تَابُوتًا ۚ الْقَابِئَةُ ۚ ﴾ [البقرة ٢].

(١) يقول ابن القيم في كتابه حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح في باب :

رؤيتهم ربهم تبارك وتعالى بإبصارهم جهرة ، كما يرى القمر ليلة البدر ، وتجليه لهم ضاحكاً إليهم ،

هذا الباب أشرف أبواب الكتاب وأجلها قدراً وأعلها خطراً ، وأزورها ليعون أهل السنة والجماعة ، وأشدّها على أهل البدعة والضلالة ، وهي الغاية التي شمر إليها المشتقون وتنافس فيها المتنافسون ، وتسبق إليها المتسابقون ، وليلها فليعمل العاملون . إذا تألها أهل الجنة نسوا ما هم فيه من النعيم . وحرمانه والمحجّاب عنه لأهل الجحيم أشد عليهم من عذاب الجحيم . اتفق عليها الأنبياء والمرسلون ، وجميع الصحابة والتابعون ، وأئمة الإسلام على تتابع القرون . وأنكرها أهل البدع المارقون ، =

= الوجه الثاني : أن الله سبحانه وتعالى لم ينكر عليه سؤاله ، ولو كان محالاً لأنكره عليه . ولهذا لا سأل إبراهيم الخليل ربه تبارك وتعالى أن يعطيه كيف يحى الموتى ، لم ينكر عليه ، ولا سأل عيسى بن مريم ربه إزالا المائدة من السماء لم ينكر سؤاله ، ولا سأل نوح ربه نجاة ، ابته أنكر عليه سؤاله وقال : ﴿ إِيَّاكَ أَعْطَاكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْبَهِيمَاتِ ﴾ [١] قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَلَا تَتَّبِعْنِي فِي تَرْجُحَتِي أَصْخَنَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [٢] مود.

الوجه الثالث : أنه أجابه بقوله : ﴿ كُنْ تَرَبُّي ﴾ ولم يقل : لا تراني ، ولا : إني لست بموتى ولا تجوز رؤيتي ، والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله . وهذا يدل على أنه سبحانه وتعالى مؤثر ، ولكن موسى لا تحمل قواه رؤيته في هذه الدار لضعف قوة البشر فيها عن رؤيته تعالى .

الوجه الرابع : وهو قوله : ﴿ وَلَكِنْ أَتُنْظِرُ إِلَى الْجَنَّةِ فَإِنْ اسْتَمَرَّ مَعَكُمْ فَسَوْفَ تَرَوْنِي ﴾ فاعلمه أن الجبل مع قوته وصلاته لا يثبت له في هذه الدار فكيف بالبشر الضعيف الذي خلق من ضعف .
الوجه الخامس : أن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يجعل =

= والجهمية المشهور كون ، والباطنية الذين هم من جميع الأديان منسلخون ، والرافضة الذين هم بجنائل الشيطان متمسكون ، ومن حيل الله منقضون ، وعلى مسبة أصحاب رسول الله عاكفون ، وللسنة أهلها محاربون ، ولكل عدو لله ورسوله ودينه مسألون ، وكل هؤلاء عن ربهم محجوبون وعن بابه مطرودون .

الدليل الأول : أخبر الله سبحانه عن أعلم الخلق به في زمانه وهو كلمه ونجيه وصيقه من أهل الأرض أنه سأل ربه تعالى النظر إليه فقال له ربه تبارك وتعالى : ﴿ كُنْ تَرَبُّي ﴾ ولكن أنظر إلى الجنبل فإن استمر معكم فسوف ترونى فلما نجأ ربهم للجنبل جعلهم دكا [الأعراف : ١٤٣] .

ويان الدلالة من هذه الآية من وجوه عديدة :
أحدها : أنه لا يظن بكلم الرحمن ورسوله الكريم أن يسأل ربه ما لا يجوز عليه ، بل هو من أبطل الباطل وأعظم الخال . فبالله العجيب كيف صار أتباع الصابئة والجوس والمشركن مجاد الأصنام وفروخ الجهمية والفرعونية أعلم بالله تعالى من موسى بن عمران ، وما يستحيل عليه ، ويحجب له ، وأشد قترها له منه ؟
[الأعراف : ١٤٣]

= تركليمه ، فلم يخبره باستحالة ذلك عليه ، ولكن أراه أن ما سأله لا يغير على احتماله كما لم يثبت الجبل لتجلبه . وأما قوله تعالى : ﴿ كُن تَوْبِينَ ﴾ فإنما يدل على النفي في المستقبل ولا يدل على دوام النفي ، ولو قيدت بالتأييد ، فكيف إذ أطلقت ؟ قال تعالى : ﴿ وَكُن يَسْمُوهُ أَبَدًا ﴾ [البقرة : ١٥٠] مع قوله تعالى : ﴿ وَآدَارًا يَكْمَلُكَ يُقَعِّنُ عَلَيْكَ ذُنُوبَكَ ﴾ .

الدليل الثاني :

قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُكَلَّمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٣٢] وقوله تعالى : ﴿ يَحْيِيهِمْ يَوْمَ يَقُولُهُمْ مُلْكٌ ﴾ [الأحزاب : ٤٤] وقوله تعالى : ﴿ فَكُنْ كَانَ رَجُلاً إِتَّاعًا وَيَقِيه ﴾ [الكهف : ١١٠] وقوله تعالى : ﴿ قَالَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ أَتَعْبَثُونَ أَتَأْتُهُمْ مَتَلَكُمُ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ ﴾ [البقرة : ٢٤١] .

وأجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نُسب إلى الحي السليم من الصمى والمانع ، اقتضى المعاينة والرؤية .

ولا يقتضى هذا بقوله تعالى : ﴿ فَاصْبِرْهُمْ يَنَاقَا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ ﴾ [البقرة : ٧٧] فقد دلت الأحاديث الصحيحة الصريحة على أن المنافقين يرونه تعالى في غرصات القيامة بل والكفار أيضاً كما في الصحيحين من حديث التجلى يوم القيامة . =

= الجبل مستقراً مكانه ، وليس هذا بجمتمع في مقدوره ، بل هو يمكن وقد علق به الرؤية ولو كانت مُحالاً في ذاتها لم يعاقبها بالمكن في ذاته .

الوجه السادس : قوله سبحانه وتعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ رَبُّهُ لِيُجِيبَ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ وهذا من أين الأدلة على جواز رؤيته تبارك وتعالى ، فإنه إذا جاز أن يعجل للجبل الذي هو جعاد لا ثواب له ولا عقاب ، فكيف يمتنع أن يعجل لآتيائه ورسله وأوليائه في دار كرامته ويؤيهم نفسه ؟ فأعلم سبحانه وتعالى موسى أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار فالبشر أضعف .

الوجه السابع : أن ربه سبحانه وتعالى قد كلمه منه إليه وخاطبه وتجاهه وناداه ، ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يُسمع مُخاطبته كلامه منه بغير واسطة فرويته أولى بالجواز ، ولهذا لا يتم إنكار الرؤية إلا بإنكار التكليم

وقد جمعت هذه الطوائف بين إنكار الأمرين فانكروا أن يكلم أحداً أو يراه أحد . ولهذا سأله موسى النظر إليه لا أسمعه كلامه وعلم نبي الله جواز رؤيته من وقوع خطابه به . =

= فالْحَسَنِي : الجنة ، والزيادة : النظر الى وجهه الكريم . كذلك فسرها رسول الله ﷺ الذي أنزل عليه القرآن فالصحابة من بعده .

روى مسلم في صحيحه من حديث صهيب عن النبي ﷺ قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة قال : يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون أَلَمْ نَقِمْ وجوهنا ؟ أَلَمْ نَدْخُلْ الجنة وتنجنا من النار ؟ قال : فيكشف المحجাব فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل » (١) وعن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ﷺ الَّذِينَ أَحْسَنُوا لِنَفْسِنِ زِينَةً ۖ قَالُوا النَّظَرَ إِلَىٰ رَجَعَهُ رَبُّهُمْ تَعَالَىٰ .

وعن ابن عباس وابن مسعود رضي الله تعالى عنهما : ﷺ الَّذِينَ أَحْسَنُوا لِنَفْسِنِ زِينَةً ۖ وَلَا يَرَهُنَّ وَجُوهَهُنَّ قَدَّرَ وَلَا ذُلَّهُ ۖ قَالُوا : أَمَا الْحَسَنِي فَالْجَنَّةُ ، وَأَمَا الزِّيَادَةُ فَالنَّظَرُ إِلَىٰ رَجَعَهُ اللَّهُ وَأَمَا الْقَرَرُ فَالسَّوَادُ .

وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى وعامر بن سعد وإسماعيل =

(١) أخرجه مسلم [٢٩٧/١٨١] ، والترمذي [٢٥٥٧] ، وابن ماجه

١٨٧٦ .

= وفي هذه المسألة ثلاثة أقوال لأهل السنة :

أحدها : أن لا يراه إلا المؤمنون .

والثاني : يراه جميع أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم ، ثم يحجب عن الكفار فلا يرونه بعد ذلك .

والثالث : يراه المنافقون دون الكفار .

والأقوال الثلاثة في مذهب أحمد وهي لأصحابه وكذلك الأقوال الثلاثة بعينها لهم في تكليمه لهم ، ولشيخنا في ذلك مُصَنِّفٌ مُنَزَّدٌ وحكي فيه الأقوال الثلاثة وحجج أصحابها . وكذا قوله سبحانه وتعالى : ﷺ يَتَأَيَّيْهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَارِحٌ إِنَّكَ رَيْبٌ كَذِبًا مُّبَلِّغٌ ﷻ [الأنشق : ٢٦] . إن عاد الضمير على العمل فهو رؤيته في الكتاب مطوراً مثبثاً . وإن عاد على الرب سبحانه وتعالى فهو لقاءه الذي وعد به .

الدليل الثالث :

قوله تعالى : ﷺ يَدْعُوا إِلَىٰ كَارِ السَّكِينِ وَيَهْدِي مِنَ يَمِينِهِ إِلَىٰ سِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ الَّذِينَ أَحْسَنُوا لِنَفْسِنِ زِينَةً ۖ وَلَا يَرَهُنَّ وَجُوهَهُنَّ قَدَّرَ وَلَا ذُلَّهُ ۖ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَشْأَمِ ۚ فِيهَا يَخْتَلِفُونَ ۝ [نوس] .

= دليل على أن أوليائه يروونه في الرضى .

قال الربيع قتلته : يا أبا عبد الله وبه تقول ؟ قال : نعم وبه
أدين الله ، ولو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله لما عُبِدَ
الله عز وجل .

الدليل الخامس :

قوله عز وجل : ﴿لَهُمْ نَارٌ يَنَاقُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [سورة ق: ٣٥] .
قال الطبراني : قال علي بن أبي طالب وأنس بن مالك : هو
النظر إلى وجه الله عز وجل ، وقاله من التابعين زيد بن وهب
وغيره .

الدليل السادس :

قول الله عز وجل : ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ
الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام : ١٠٣] .

والاستدلال بهذا أعجب فإنه من أدلة الثبوت ، وقد قرر شيخنا
وجه الاستدلال به أحسن تقرير والطفه ، وقال لى : أنا ألتزم
أنه لا يحتاج مُبَيَّنٌّ بآية أو حديث صحيح على باطله إلا وفي
ذلك الدليل ما يدل على نقض قوله ، فمنها هذه الآية وهي
على جواز الرؤية أدل منها على امتناعها ، فإن الله سبحانه إنما
ذكرها في سياق التمدح ومعلوم أن المدح إنما يكون =

= ابن عبد الرحمن السدى والضحاك بن مزاحم وعبد الرحمن بن
سابط وأبو إسحاق السبيعي وقناة وسعيد بن المسيب والحسن
البصرى وعكرمة مولى ابن عباس ومجاهد بن جبر : الحسنى :
الجنة . والزيادة : النظر إلى وجه الله تعالى .

وقال غير واحد من السلف فى الآية : ﴿لَا يَرَوْنَ وَجُوهَهُمْ
قَطْرٌ وَلَا ذَلَّةٌ﴾ بعد النظر إليه . والأحاديث عنهم بذلك
صحيحة .

ولما عطف سبحانه الزيادة على الحُسنِ التى هى الجنة دل على
أنها أمر آخر وراء الجنة وقُدِّرَ زائد عليها .

الدليل الرابع :

قوله تعالى : ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ [المنفذين : ١٥] .
وروجه الاستدلال بها ، أنه سبحانه وتعالى جعل من أعظم
عقوبة الكفار ، كونهم محجوبين عن رؤيته واستماع كلامه ، فلو
لم يره المؤمنون ولم يسمعوا كلامه كانوا أيضاً محجوبين عنه .
وقد احتج بهذه الحجة الشافعى نفسه وغيره من الأئمة ، فذكر
الطبرانى وغيره عن الزنى قال : سمعت الشافعى يقول فى
قوله عز وجل : ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ فقال
الشافعى : لما أن حجب هؤلاء فى السخط كان فى هذا =

= في قوله: ﴿وَمَا يَحْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ [عنيس: ١١] أنه يعلم كل شيء، وفي قوله: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ تُجُوبٍ﴾ [سورة ن: ٢٨] أنه كامل القدرة ، وفي قوله سبحانه : ﴿وَلَا يَغْلِبُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] أنه كامل المدد ، وفي قوله: ﴿وَلَا تَأْخُذُ بِهِ شَيْءٌ وَلَا يَمُؤَّدُ عَنْهُ الْيَوْمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] أنه كامل القيومية .

فقوله : ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَارُ﴾ يدل على غاية عظمته وأنه أكبر من كل شيء ، وأنه لمظنته لا تُدْرِكُ بحيث يُحاط به ، فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء وهو قدر زائد على الرؤية ، كما قال تعالى : ﴿فَلَمَّا تَرَى الْإِنْسَانُ أَنَّهُ آمْسَحَتْ بِمَوْجِدِهِ يَدَايَهُ﴾ [التكوير: ٢١] فلم تُفَيِّدْ لَتُدْرِكُونَ ﴿قَالَ كَلَّا...﴾ [الشعراء: ٦١] فلم تُفَيِّدْ موسى الرؤية ، ولم يريدوا بقولهم : ﴿إِنَّا لَنُدْرِكُونَ﴾ إنا لرؤيون فإن موسى صلوات الله وسلامه عليه نفى إدراكهم إياهم بقوله: ﴿كَلَّا﴾ وأخبر الله سبحانه أنه لا يخاف دركهم بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَهْبَتْنَا إِلَيْكَ مُوسَىٰ أَنِ اسْبِرْ يَدَايَ فَانْصُرِبْ لَمْ يَطْرُقَا فِي الْيَجْرِ بَيْتًا لَا حَتَفَ دُرُكًا وَلَا حَقَقَ﴾ [طه: ٧٧] فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه ، فالرب تعالى يُدْرِي ولا يُدْرَك كما يعلم ولا يُحاط به . وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية .

= بالأوصاف الثبوتية وأما العلم الخفى فليس بكمال ولا يُمدَح به وإنما يُمدَح الرب تبارك وتعالى بالعلم إذا تضمن أمراً وجودياً كمدحه بنفى البينة والنورم المتضمن كمال الثبوتية ، ونفى الموت المتضمن كمال الحياة ، ونفى اللغوب والإعياء المتضمن كمال القدرة ، ونفى الشريك والصاحبة والولد والظهير المتضمن كمال ربوبية والهيبة وقهره ، ونفى الأكل والشرب المتضمن كمال الصمدية وغناه ، ونفى الشفاعة عنده بدون إذنه المتضمن كمال توحيد غناه عن خلقه ، ونفى الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه ، ونفى النسيان وعزوب شيء عن علمه المتضمن كمال علمه وإحاطته ، ونفى الجمل المتضمن لكمال ذاته وصفاته ، ولهذا لم يمدح بعدم محض لا يتضمن أمراً ثبوتياً فإن المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العلم ولا يوصف الكامل بالمر يشترك هو والمعدوم فيه ، فلو كان المراد بقوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَارُ﴾ أنه لا يُدْرَى به حال لم يكن في ذلك مدح ولا كمال لمشاركة المعدوم له في ذلك فإن المعدوم العرف لا يُدْرَى ولا تدركه الأبصار والرب جل جلاله يتعالى أن يمدح بما يشاركه فيه العلم الخفى ، فإذا المعنى : أنه يُدْرَى ولا يُدْرَك ولا يُحاط به ، كما كان المعنى =

= فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والميران والحساب أسهل =

على أربابه من تأويلها ، وتأويل كل نص تضمنه القرآن والسنة كذلك ، ولا يشاء مبطل على وجه الأرض أن يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها إلا وجد إلى ذلك من السبل ما وجده متأول مثل هذه النصوص ، وهذا الذي أفسد الدين والدنيا . وإضافة النظر إلى الوجه الذي هو محله في هذه الآية ، وتعديته بأداة **﴿ إِنْ ﴾** الصريحة في: نظر العين ، وإخلاء الكلام من قرينة = تدل على أن المراد بالنظر الضفاف إلى الوجه الممدى بـ **﴿ إِنْ ﴾** خلاف حقيقته وموضوعه - صريح في أن الله سبحانه وتعالى أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى نفس الرب جل جلاله فإن النظر له: عدة استعمالات بحسب صلاحته وتعمده بنفسه : فإن **﴿ عُدِّي ﴾** بنفسه فمعناه التوقف والانتظار كقوله : **﴿ أَنْظُرُونَا نَقْتِسَبْ مِنْ ثِيَابِكُمْ ﴾** . فإن **﴿ عُدِّي بـ ﴾** في **﴿ فمعناه التفكير والاعتبار كقوله : ﴿ أَنْظُرُوا ﴾** . **﴿ أَنْظُرُوا ﴾** في ملكوت السموات والأرض **﴿ والأعراف : ٢١٨٥ .** وإن **﴿ عُدِّي بـ ﴾** **﴿ إِنْ ﴾** فمعناه الماينة بالأبصار كقوله : **﴿ أَنْظُرُوا إِنْ كُنْتُمْ بِإِذَا أَنْتُمْ ﴾** . فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو

محل البصر ١٢

= قال ابن عباس : **﴿ لَا تُذِرْكُمُ الْآفَتُمْ ﴾** لا تحيط به الأبصار . وقال قتادة : هو أعظم من أن تدركه الأبصار .

وقال عطية : ينظرون إلى الله ولا تحيط أبصارهم به من عظمتهم ، وبصره يحيط بهم ، فذلك قوله تعالى : **﴿ لَا تُذِرْكُمُ الْآفَتُمْ وَهُمْ يَدْرِكُ الْآفَتُمْ ﴾** . فالؤمنون يرون ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم عياناً ولا تدركه أبصارهم بمعنى أنها لا تحيط به إذ كان غير جائز أن يوصف الله عز وجل بأن شيئاً يحيط به وهو بكل شيء محيط وهكذا يسمع كلام من يشاء من خلقه ولا يحيطون بكلامه وهكذا يعلم المخلوق ما علمهم ولا يحيطون بعلمه .

الدليل السابع :

قوله سبحانه وتعالى : **﴿ وَبُورُ يُؤَيِّنُ زَاجِرًا ﴾** **﴿ إِنْ كُنَّا كَاذِبِينَ ﴾** [القيامة] .

وأنت إذا أجبرت^(١) هذه الآية من تحريفها عن مواضعها ، والكذب على التكلم بها سبحانه فيما أراده منها ، وجعلتها منادية نداء صريحا أن الله سبحانه يرى عياناً بالأبصار يوم القيامة ، وإن آيت إلا تحريفها الذي يسميه المخوفون تأويلًا ، =

(١) أي : منعت تأويلها .

= صورته التي يعرفون فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا فيتمونه ، ويضرب الصراط بين ظهري جهنم ، فأكون أنا وأمتي أول من يخرج ، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ، ودعوى الرسل يومئذ : اللهم سلّم سلّم ، وفي جهنم كلاب مثل شوك السعدان ، هل رأيتم السعدان ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : وإني مثل شوك السعدان ، غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله عز وجل ، يُخَطِّفُ الناس بأعمالهم ، فمنهم المؤمن بقي بعمله ، ومنهم المشرك حتى ينتجى ، حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد ، وأراد أن يخرج برحمته من أراذل من أهل النار ، أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً ، ممن أراد الله تعالى أن يرحمه ممن يقول : لا إله إلا الله ، فيعرفونهم في النار ، يعرفونهم بأثر السجود ، تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود ، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود ، فيخرجون من النار وقد امتلأوا ، فيصيب عليهم ماء الحياة ، فيبتون منه كما تبت الحبة في خبث السيل ، ثم يفرغ الله تعالى من القضاء بين العباد ، ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار وهو آخر أهل الجنة دخولا الجنة فيقول : أي رب ، اصرف وجهي عن النار فإنه قد قسيت ريحها وأحرقني =

= عن الحسن قال : نظرت إلى ربها تبارك وتعالى فتشربت بنوره . وعن ابن عباس : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ كَافِرٌ ﴾ قال : تنظر إلى وجه ربها عز وجل .

وقال عكرمة : ﴿ وَبُورٌ يُنْهَى فَالْمِزَّةُ ﴾ قال : من النعيم ﴿ إِنَّكَ رَبُّكَ كَافِرٌ ﴾ قال : تنظر إلى ربها نظراً ، ثم حكى عن ابن عباس مثله . وهذا قول كل مفسر من أهل السنة والمحدث . وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه : « أن ناساً قالوا لرسول الله ﷺ : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ : « هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ؟ قالوا : لا يا رسول الله . قال : « هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا يا رسول الله ، قال : « فإنكم ترونه كذلك ، يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول : من كان يعبد شيئاً فليتيه ، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت ، ويبقى هذه الأمة فيها منافقوها ، فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : نعوذ بالله منك ، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاء ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله عز وجل في =

= من كذا وكذا ، حتى إذا انقطعت به الأمانى قال الله عز وجل :
ذلك لك ومثله معه .

قال أبو سعيد : وعشرة أمثاله معه يا أي هريوة ، قال أبو هريوة : ما حفظت إلا قوله : ذلك لك ومثله معه . قال أبو سعيد : أشهد أنى حفظت من رسول الله ﷺ قوله : ذلك لك وعشرة أمثاله . قال أبو هريوة : وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولا الجنة (١) . وعن أبي سعيد الخدري أن ناسا في زمن رسول الله ﷺ قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال رسول الله ﷺ : نعم ، قال : هل تفتشون في رؤية الشمس بالظهيرة صحرا ليس معها سحاب ؟ وهل تفتشون في رؤية القمر ليلة البدر صحرا ليس فيها سحاب ؟ قالوا : لا يا رسول الله ، قال : ما تفتشون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة ؟ إلا كما تفتشون في رؤية أحدكما ، إذا كان يوم القيامة أدن مؤذن : أيقظ كل أمة ما كانت تعبد ، فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله سبحانه من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار ، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغير أهل الكتاب (٢) =

(١) أخرجه البخاري [٢٨٠٦] ، ومسلم [٢٢٩٩/١٨٢٦] والنسائي .

(٢) أى : بقاياهم ، جمع غابر

= ذكروا فيدعو الله ما شاء أن يدعو ، ثم يقول الله تبارك وتعالى : هل عسيب إن فعلت ذلك بك أن تسأل غيره ؟

فيقول : لا أسألك غيره ، ويعطى ربه من عهود ومواثيق ما شاء الله ، فيصرف الله وجهه عن النار ، فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت ، ثم يقول : أى رب ، قدمنى إلى باب الجنة . فيقول الله له : أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك لا تسألنى غير الذى أعطيتك ؟ وبذلك يا ابن آدم ! ما أغفرك ! فيقول : أى رب ، ويدعو الله حتى يقول له : فهل عسيب إن أعطيتك ذلك أن تسأل غيره ؟ فيقول : لا ، وعزتك فيعطى ربه ما شاء الله من عهود ومواثيق ، فيقدمه إلى باب الجنة ، فإذا قام على باب الجنة انفتحت له الجنة ، فرأى ما فيها من الخير والسرور ، فسكت ما شاء الله أن يسكت ، ثم يقول : أى رب أدخلنى الجنة ، فيقول الله تبارك وتعالى له : أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسأل غير ما أعطيت ؟ وبذلك يا ابن آدم ما أغفرك ! فيقول : أى رب ، لا أكون أشقى خلقك ، فلا يزال يدعو الله حتى يفسحك الله تبارك وتعالى فيه ، فإذا ضحك الله منه قال : أدخل الجنة ، فإذا دخلها قال الله له : تسنة ، فيسأل ربه ويمنى . حتى إن الله لينكز به =

= يسجد إتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ، ثم يرفعون رءوسهم وقد تحول في صورته التي رآوه فيها أول مرة ، فقال : أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا ، ثم يضرب الجسر على جهنم ، ويحل الشفاعة ، ويقولون : اللهم سلم سلم ، قيل : يا رسول الله ، وما الجسر ؟ قال : دخض منزلة ، فيه خطاطيف وكلايب وحسك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان ، فيسر المؤمنون كطرف العين وكالبوق وكالريح وكالطير كأجويد الخيل والركاب ، فناج مسلم ، ومحدوش مرسل ، ومكدوس في نار جهنم ، حتى إذا خلص المؤمنون من النار ، فورلدى نفس يده ، ما منكم من أحد بأشد مشادة لله ، في استقصاء الحق من المؤمنين لله تعالى يوم القيامة لا يخرجهم الذين في النار ، ويقولون : ربنا كانوا يهوديون معنا ويعلمون ويخرجون ، فيقال لهم : أخرجوا من عزركم ، فتحرم صورهم على النار ، فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار إلى نصف ساقه وإلى ركبته ، ثم يقولون : ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به . فيقول : ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقا كثيرا ، ثم يقولون : ربنا لم نذكر فيها أحدا ممن أمرتنا .

= فيذكر اليهود فيقال لهم : ما كنتم تعبديون ؟ قالوا : كنا نعبد عزيرنا ابن الله ، فيقال : كذبتهم ، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد ، فعماذا تبغون ؟ قالوا : عطشنا يا ربنا فاسقنا ، فيشار إليهم : ألا ترءون ؟ فيحشرون إلى النار ، ثم يذبح النصارى ، فيقال لهم : ما كنتم تيسدون ؟ قالوا : كنا نعبد المسيح ابن الله ، فيقال لهم : كذبتهم ، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد ، فيقال لهم : ماذا تبغون ؟ فيقولون : عطشنا يا ربنا فاسقنا ، قال فيشار إليهم : ألا ترءون ؟ فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يخطئ بعضها بعضا ، فيساقطون في النار . حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من يروا نجر ، أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رآوه فيها ، قال : فما تنتظرون ؟ فتبجح كل أمة ما كانت تعبد ، قالوا : يا ربنا فارقتا الناس في الدنيا أقرر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : نموذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا - مرتين أو ثلاثا - ، حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب ، لمعول : هل ينكم ربيته آية فنعرفه بها ؟ فيقولون : نعم ، فلكلف عن ساق ، فلا يبقى من كان يسجد لله من ثلاثة لنفسه إلا أذن الله له بالسجود ، ولا يبقى من كان =

= وقال عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس رضي الله تعالى

عنهم : الريادة النظر إلى وجه الله عز وجل .

وقال معاذ بن جبل : يحشر الناس يوم القيامة في صعيد واحد فينادى : أين المتقون فيقومون في كنف واحد من الرحمن ، لا يحتجب الله منهم ولا يستتر ، قلت : من المتقون ؟ قال : قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان وأخلصوا لله في العبادة فيمروا إلى الجنة .

وقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه : لن تروا ربكم حتى

تذوقوا الموت .

وقال أبو موسى الأشعري : وكان يحدث الناس ، فشمخصوا بأبصارهم فقال : ما صرف أبصاركم عني ؟ قالوا : الهلال ، قال : فكيف بكم إذا رأيتم وجه الله جهرة .

وقال مالك بن أنس : الناس ينظرون إلى ربهم عز وجل يوم

القيامة بأعينهم .

وقال عبد الله بن المبارك : ما حجب الله عنه أحدا إلا عذبه ثم قرأ : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ ﴾ [١٣] ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا رَبِّهِمْ فَيَنْبَسُ السُّجُودُ أَلْفًا مَرَّةً ثُمَّ يَكُونُ السَّادُ [١٤] =

= بلغاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له ، فيقول : ألم أبعث إليك رسولا قبيلك ؟ فيقول : بلى ، فيقول : ألم أعلمك مالا وأفضيل عليك ؟ فيقول : بلى ، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم ، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم .

قال عدى : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : و انتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة ، قال عدى : فرأيت الظلمية ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله ، وكنت فيمن افتتح كوز كسرى ابن هرمز ، ولئن طالت بكم حياة لتروا ما قال النبي أبو القاسم عليه السلام يخرج ملء كفه ^(١) . وقرأ أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه : ﴿ الَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَسْئَلَةِ الرَّسُولِ وَزَيَادَةً ﴾ . فقالوا : ما الزيادة يا خليفة رسول الله ؟ قال : والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى . خليفة رسول الله ؟ قال : والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى . وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه : من تمام النعمة دخول الجنة والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى في جنته . وقال حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه : الريادة النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى =

(١) أخرجه البخاري ٣٥٩٥هـ ، صحيحه ٤١

يتمه بالنظر إلى وجهه الكريم ، ويعزى أن السيدة رابعة المدوية وهي من الطائعات القانتات قالت في هذا المعنى :
واللهم إن كنت تعلم أنى أعبدك خوفاً من نارك فأدخلني

= وقال ابن خزيمة : إن المؤمنين لم يختلفوا أن المؤمنين يورثون

خالقهم يوم المماد ، ومن أنكر ذلك فليس يؤمن عند المؤمنين .
وقال أبو عبد الله بن بطة : سمعت أبا عمر محمد بن عبد الواحد صاحب اللغة يقول : سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلبياً ، يقول في قوله تعالى : ﴿ ... وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [يحييهم يوم بقوتهم سلم ...] ﴿ ... أجمع أهل اللغة على أن اللقاء ههنا لا يكون إلا معانية ونظراً بالأبصار .
قال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْكُرُونَ يَهْدِي اللَّهُ وَأَتَعْبَتُهُمْ نَسْيًا فَإِنَّمَا أَزْكِيكُم لَا تُلَاقِيَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْتَظِرُ لِحُكْمِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُرْكِبُهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران : ١٧٧] .

وقال في حق الذين يكفون ما أنزل الله من البينات والهدى ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [البقرة : ١٧٤] . فلو كان لا يكلم عباده المؤمنين ، وكانوا في ذلك هم وأعداؤه سواء ولم يكن في تخصيص أعدائه بأنه لا يكلمهم فائدة أصلاً .

إذن .. فهناك في الجنة مراتب ارتقائية .

وليعلم المؤمن الطامع في رضى الله تعالى ورضوانه أنه سبحانه وتعالى : ﴿ بِعَبِيدٍ إِلَهَبَادٍ ﴾ [آل عمران : ١٥] أى : أن الله سمع كل إنسان على قدر طاعته لشهيج ربه ، فمن أطاع الله رغبة في النعيم بالجنة يأخذ جنة الله ، ومن أطاع الله طلباً لرضوانه سبحانه ، ولأنه أهل لأن يطاع فإن الله سبحانه

= قال ابن المبارك : بالرؤية .

وقال الشافعي في قوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ ﴾ : لما حجب هؤلاء في السخط ، كان في هذا دليل على أن أوليائه يورثونه في الرضا ، قال الربيع : فقلت : يا أبا عبد الله وتقول به ، قال : نعم وبه أدعني الله ، ولو لم يؤمن محمد ابن إدريس أنه يرى الله عز وجل لما عبده .

وقال الإمام أحمد بن حنبل : لما قيل له : تقول بالرؤية ؟

فقال : من لم يقل بالرؤية فهو جهلى .

وقال : من قال أن الله لا يرى فهو كافر .

وقال أبو عبد الله : إذا لم نقر بما جاء عن النبي ﷺ ودفعناه ، ردونا على الله أمره ، قال الله عز وجل ﴿ وَمَا تَنكُرُكُمْ أَرْسَلْنَا فَتُفْسِدُوا وَكَمَا تُنْكِرُكُمْ عَلَيْنَا فَاَتِيهِمْ ﴾ [المشر : ٧] . =

وإن أشد الناس بلاء الأبناء ، ثم العلماء ، ثم الأمثل فالأمثل^(١). لماذا ؟ لأن ذلك دليل صدق الحجة . والإنسان عادة يحب من يُحسن إليه ، ولا يحب من تأثى منه الإساءة ، إلا إن كانت ممن له منزلة عالية كبيرة . ويكون مطمئناً إلى حكمته ، ويعلم أنه ابتلاء سوف يعطيه عليه ثواباً جزيلًا وأجرًا كبيرًا .

ولسائل أن يسأل كيف نرى الله تعالى وهو سبحانه لا تدركه الأبصار ؟ نقول إن الله سبحانه وتعالى برحمته أعطانا في الحياة الدنيا ما يقرب لنا الغيب ، فنحن لا نرى الله في الدنيا ، لأن بصرتنا لا يصلح لهذه المهمة حتى تؤمن بالغيب ، أما في الآخرة فالله يغير في خلقه ما يشاء ، وإذا كان هذا يحدث في الدنيا ، فأنا أشعر بضعف في نظري فأذهب إلى الطبيب فيطلب مني استخدام نظارة أو إجراء عملية جراحية ،

(١) جزء من حديث رواه الحاكم في المستدرک [٤١/١] وقال حديث صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي ، ، والترمذی [٢٢٨٨] ، وابن ماجه [٤٠٦٦] ، وصححه الألبانی فی صحيح الترمذی [١٩٥٦] .

فيها ، وإن كنت تعلم أني أعيدك طمعاً في جنتك فأحرمني منها ، إنما أعيدك لأنك أهلاً لأن تُعبد فأنت خالقي وربي ، أشد محبتك ورضوانك .

وبالطبع فمن أحب الله وأحب الله ورضى عنه ، أعطاه كل ما يشاء . وأسكنه أعلى الجنان .

إذن .. فمعنى أن الله سبحانه وتعالى ﴿ بِعَبِيدٍ إِلَهَبَادٍ ﴾ أى : سيعطي كل عبد على قدر حركته ونيته في الحركة ، فالذى أحب ما عند الله من النعمة فلْيأخذ النعمة وبقيضها الله عليه . أما الذى أحب الله وإن سلب منه النعمة ، فإن الله يعطيه المطاء الأوفى ، وذلك هو مجال مباهاة الله للملائكة ، ومن أقوى دلائل الإيمان وكماله ، إيتار محبة الله ورسوله على كل شيء في الوجود .

وفي الحديث عن النبي ﷺ قال : ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكروه أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يُنقذ في النار^(١) .

(١) أخرجه البخاري [١٦] ، ومسلم [٣٧/٤٦٦] واللفظ له عن أنس رضى الله تعالى عنه .

تَكْلِيمُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَهْلُ الْجَنَّةِ

قال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ الْآيِينَ يَنْتِظُونَ عَهْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِمْ ﴾ فَمَنْ
قِيلَ أَرْأَيْتُمْ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا
يَنْطُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُرَكِّبُهُمْ ﴿ آل عمران : ٧٧ ﴾ .
وقال في حق الذين يكفرون ما أنزل الله من الآيات والهدى
﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [البقرة : ١٧٤] فلو كان لا
يكلم عباده المؤمنين ، لكانوا في ذلك هم وأعداؤه سواء ولم
يأثموا .

بحسب ما في تصنيفي .
وتقدم حديث أبي هريرة في سرق الجنة وقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « ولا يبقى أحد في ذلك المجلس إلا حاضره الله محاضرة ، فيقول : يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا » الحديث .

وتقدم حديث عدى بن حاتم : « ما منكم إلا من سيكلمه ربه يوم القيامة » ، وحديث أبي هريرة في الرؤية وفيه : « يقول الرب تبارك وتعالى للبعد ألم أكرمك وأسودك » الحديث . وحديث أنس في يوم الازبد ومخاطبته فيه لأهل الجنة مراراً . وبالجملة فنأمل أحاديث الرؤية تجد في أكرمها ذكر التكليم . قال البخاري في صحيحه : « باب كلام الرب تبارك وتعالى »

فأرى ما لم أكن أراه ، لأن النظارة قد زادت من قدرتي على الرؤية ، إذا كان هذا ما يصنعه المخلوق للمخلوق .. شيئاً يخرج عنه عن قانونها إلى قانون آخر ، فكيف بنا يوم القيامة وقد تغير فيها ما تغير بقدرة الله سبحانه وتعالى ، ألا يكون ممكناً أننى مسأرى بقوانين، أخرى غير القوانين الدنيوية .

إن الخطأ أن يقيس الناس قانن فترة من فترات الحياة بقانن فترة أخرى منها ، فكل فترة لها قوانينها ، فنحن في عالم اللز لنا قوانين تحكمنا ، فإذا انتقلنا إلى الحياة الدنيا لنا قوانين أخرى ، وفي حياة البرزخ بعد الموت لنا قوانين نخضع لها ، وعند البعث لنا قوانين أخرى ، وفي الجنة أو في النار هناك قوانين أخرى .. منها قانون الأبدية مثلاً .. هو أننا لا نموت ونكون حياتنا في شباب دائم .. إلى آخر هذه القوانين ، بل إن الإنسان وهو قائم له قوانين تختلف عنها في حالة اليقظة ، ولذلك فإن رسول الله ﷺ بلغنا إلى ذلك فيقول : « والله إنكم لتعبرن كما تكاثرون ولتبعثن كما تستيقظون » (١) .

(١) ذكر القرطبي في تفسير الآية [٤٢] من سورة الزمر قال :
 و عن النبي ﷺ قال : كما تتامرون فكذاكم تتموتون ، وكما
 توتقظون فكذاكم تيموتون ١ .

= وعن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ

قال : و آخر من يدخل الجنة رجل فهو يحيى مرة ويكبر مرة ،
وتسبغه النار مرة ، فإذا ما جازها التفت إليها ، فقال : تبارك
الذى نجاني منك ، لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من
الأولين والآخرين ، ثم رفع له شجرة فيقول : أى رب ، أدننى من
هذه الشجرة فلا أستظل بظلها ، وأشرب من مائها ، فيقول الله عز
وجل : يا ابن آدم لملى إن أعطيتكها سألتى غيرها ، فيقول : لا
يارب ، ويأمره أن لا يسأله غيرها ، وربه يعذره ، لأنه يرى ما لا
صبر له عليه ، فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ، ثم
تُرفع له شجرة هي أحسن من الأولى ، فيقول : أى رب ! أدننى
من هذه لأشرب من مائها وأستظل بظلها لا أسألك غيرها ،
فيقول : يا ابن آدم ألم تعاهدنى أن لا تسألى غيرها ، فيقول :
لملى إن أدنيتك منها تسألى غيرها ؟ فيعاهده أن لا يسأله غيرها
، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه ، فيدنيه منها فيستظل
بظلها ويشرب من مائها ، ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي
أحسن من الأولين ، فيقول : أى رب أدننى من هذه لأستظل
بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها ، فيقول : يا ابن آدم
ألم تعاهدنى أن لا تسألى غيرها ؟ قال : بلى . يارب =

= مع أهل الجنة ، وساق فيه عدة أحاديث .

فأنفصل نعيم أهل الجنة رؤية وجهه تبارك وتعالى وتكليمه
لهم ، فإنكار ذلك إنكار لروح الجنة وأعلى نعيمها وأفضلها
الذى ما طابت لأهلها إلا به . والله المستعان .

عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول
الله ﷺ : و إني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل
الجنة دخولا الجنة ، رجل يخرج من النار جبراً ، فيقول الله
تبارك وتعالى له : اذهب فادخل الجنة ، فيأتيها فيخيل إليه أنها
ملائى ، فيرجع فيقول : يا رب وجدتها ملائى ، فيقول الله
تبارك وتعالى له : اذهب فادخل الجنة ، قال فيأتيها فيخيل إليه
أنها ملائى ، فيرجع فيقول : يا رب وجدتها ملائى ، فيقول الله
له : اذهب فادخل الجنة ، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها -
أو إن لك عشرة أمثال الدنيا - قال فيقول : أنسخر نى أو
أنضحك نى وأنت الملك ؟ - قال لقد رأيت رسول الله ﷺ
ضحك حتى بدت نواجذه ، قال فكان يقال : ذاك أدنى أهل
الجنة منزلة (١) .

(١) أخرجه البخارى [٢١٥٧١] ، ومسلم [٢٣٠٨/٨٦١] .

زيارة اهل الجنة ربهم تبارك وتعالى

عن عبد الله بن عبيد بن عمير رضى الله تعالى عنه أنه سمع أنس بن مالك يقول : و أنى جبريل بمرة يضاء فيها نكتة إلى النبي ﷺ فقال النبي ﷺ : ما هذه ؟ قال : الجمعة ففضلت بها أنت وأمتك ، فالتاس لكم فيها نبيح ، اليهود والنصارى ، ولكم فيها خير ، وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله بخير إلا استجيب له ، وهو عندنا يوم الزيد ، قال النبي ﷺ : يا جبريل وما الزيد ؟ قال : إن ربك اتخذ في الفردوس وادياً أفتح ، فيه كُتِبَ المسك ، فإذا كان يوم الجمعة ، أنزل الله تبارك وتعالى ما شاء من ملائكته وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين ، وحف تلك المنابر منابر من ذهب ، مكالمة بالياقوت والورع جدد ، عليها الشهداء والصديقون فجلسوا من وراءهم على تلك الكيانات ، فيقول الله تعالى : أنا ربكم قد صدقتم وعدى فسلوني أعطاكم ، فيقولون : ربنا نسألك رضوانك ، فيقول : قد رضيت عنكم ولكم على ما تبتغون ، ولدى مزيد . فهم يحجون يوم الجمعة لا يعطيهم فيه ربحهم من الخير ، وهو اليوم =

= هذه لا أسألك غيرها ، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه ، فيبذره منها ، فإذا أدناه فيها فسمع أصوات أهل الجنة ، فيقول : أى : رب ادخلنيها ، فيقول : يا ابن آدم ما يضرني منك ؟ أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها ؟ قال : يارب أستعزىء مني وأنت رب العالمين ؟ وأنت رب العالمين فقال : ألا تسألوني ثم أضحك ؟ فقالوا : ثم تضحك ؟ قال : هكذا أضحك رسول الله ﷺ ، فقالوا : ثم تضحك يا رسول الله ؟ قال : من ضحك رب العالمين حين قال : أستعزىء مني وأنت رب العالمين ؟ فيقول : لاني لا أستعزىء منك ولكني على ما أشاء قادر^(١) .

○○○

(١) أخرجه مسلم ١٨٧٦/٢٣١٠ .

هؤلاء لا تفتح لهم ابواب الجنة

هُوَ إِنْ أَلَزِمْتَ كَذِبًا يَأْتِيْنَا وَاسْتَكْبَرُوا حَتَّى لَا تَفْتَحَ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِغَ الْجَمَلُ فِي سِنِّ الْخَيْلِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ [الأعراف: ٤٠].

وبذلك نعرف من هم الذين لا تفتح لهم أبواب السماء ، وبطبيعة الحال نعرف أن المقابلين لهم هم الذين تفتح لهم أبواب السماء ، إنهم المؤمنون ، وحين تصعد أرواحهم إلى الملأ الأعلى تجد أعمالهم الصالحة تصعد وترتفع بهم إلى أعلى . أما المكذبون فهم لا يترقون بل يهبطون ولا يدخلون الجنة ، وقد جعل الله سبحانه ودخول الجنة لهؤلاء المكذبين بمستحيل عقلاً وعادة وطبعاً وهو قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِغَ الْجَمَلُ فِي سِنِّ الْخَيْلِ ﴾ [الأعراف: ٤٠].

و ﴿ هُوَ سِنِّ الْخَيْلِ ﴾ هو ثقب الإبرة ، أى الذى تدخل فيه فتلة الخيط ، ولا تدخل فتلة الخيط فى الثقب ، إلا أن يكون قطر الفتلة ، أقل من قطر الثقب ، وأن تكون الفتلة من الصلابة بحيث تنفذ ، وأن تكون الفتلة غير مستوية الطرف ؛ لأنها إن

= الذى استوى فيه ربكم على العرش وفيه خلق آدم عليه الصلاة والسلام وفيه تقوم الساعة^(١).

○○○

(١) رواه الشافعى فى مسنده [بتأليف المصنفين ٤٢٢/١٤٨] ، وذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب [٤١٢٩/٢٥٨] ، ثم قال : رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى فى الأوسط بإسنادين أحدهما جيد قوى ، وأبو يعلى مختصراً ورواؤه رواية الصحيح والبرار .
وذكر ابن كثير فى نهاية البداية والنهاية [٣٥٩/٢٦] حديث أنس عند الشافعى والبرار وأبو يعلى ثم قال : وهذه طرق جيدة عن أنس ، ونقل أيضاً قول الحافظ الضياء : وقد روى من طريق جيد عن أنس بن مالك .
أهـ باختصار وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب [١٦٩٤/١٢٩١].

فهرس الموضوعات

الصفحة

الموضوع

٣	نبذة مختصرة عن فضيلة الشيخ الشمرأوى
٩	التوحيد مفتاح الجنة
٢٢	ليس من مفاتيح الإزلة أسنان
٢٥	ذبيح الموت بين الجنة والنار
٢٨	دخول الجنة برحمة الله تعالى
٣٩	بيان وجود الجنة الآن
٥٠	الجنة وعد الله للمؤمنين
٧٩	الطريق إلى الجنة
٨٤	الله يدعو إلى دار السلام ويهدي إليها من يشاء
٨٨	أسماء الجنات ومعانيها
.....	خلق الرب تبارك وتعالى بعض الجنان وعرضها بيده
٩١	تفضيلاً لها على سائر الجنان
٩٣	تربة الجنة وطينتها وحصباتها ونباتها
٩٤	أبواب الجنة
١٠١	أول من يقرع باب الجنة
١٠٢	برأى الجنة وخزنتها وأسم مقدسهم ورئيسهم
١٠٤	أنهار الجنة وعيونها
١٢٤	أشجار الجنة وظلالها
١٣٩	ثمار الجنة
١٤٧	أصحاب الجنة
١٥٥	باب جامع في صفات أهل الجنة
١٦٤	ومن صفات أهل الجنة القول الحق

كانت مقصورة وأطرافها مستوية ، فهي لا تدخل في الثقب ؛
لذلك نجد الحياط يجعل للفئة سناً ليدخلها في ثقب الإبرة .
وحين تأتي بالجمل ونقول له : ادخل في سم الحياط ، فهل
يستطيع ؟ بالطبع لا ؛ لذلك نجد الحق سبحانه قد جعل دخول
هؤلاء الجنة ملق على مستحيل .

بعض الناس قالوا : وما علاقة الجمل بسم الحياط ؟
نقول : إن الجمل يطلق أيضاً على الجبل الفليط المقتول من
جبال ، مثل جبال المركب ، وهو جبل سميك مجدول .
حتى أن الشعراء منهم من يصف انشغاله بالجيب وشوقه
إليه وصباه به حتى يهزل ويستبد به الضعف فيقول :
ولو أن ما بي من جوى وصباه على جمل لم يدخل النار كافر .
إن الجوى والصباه التي يعاني منهما هذا الشاعر ، لو
أصيب بهما الجمل فلسوف ينحف ويهزل ، إلى أن يدخل في
سم الحياط ، ونفهم إذن من قول الله سبحانه ، إنه : إن دخل
الجمل في سم الحياط فسوف يدخل الكفار الجنة .

○○○

الصفحة

الموضوع

ومن صفات أهل الجنة الصديق	١٦٥
ومن صفات أهل الجنة كظم الغيظ	١٦٨
ومن صفات أهل الجنة العفو والإحسان	١٧٣
ومن صفات أهل الجنة مملوومة الذكر والاستغفار	١٧٤
ومن صفات أهل الجنة الإنفاق في السر والعلن	١٧٩
ومن صفات أهل الجنة الجهاد والصبر	١٨٢
ومن صفات أهل الجنة طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ	١٨٣
أكرم أهل الجنة	١٨٧
الساقيون الأولون والذين اتبعوهم بإحسان	١٨٩
الإيمان وعمل الصالحات	١٩٧
طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ	١٩٨
الجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم	٢٠٥
كافل اليتيم	٢١٥
الساكن على الأمانة والمساكين	٢١٦
قول أهل الجنة عند دخولهم الجنة	٢١٧
تحية أهل الجنة	٢١٨
نساء أهل الجنة	٢٢٤
الحور العين	٢٢٧
أناس يقادرون إلى الجنة بالسلامة !	٢٣٠
رؤية الله تعالى في الجنة	٢٣٤
تكليمه سبحانه وتعالى لأهل الجنة	٢٦٣
زيارة أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى	٢٦٧
مولاء لا تفتح لهم أبواب الجنة	٢٦٩